الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار الثليجي – الأغواط

كلّية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي
ميدان لّغة وأدب العربي

مذكــرة ماستــر

صورة المرأة في شعر تميم بن أبيّ بن مقبل

الشّعبة: دراسات أدبية **التخصّص: أدب عربي قديم**

إعداد الطالبة: حنان عرابي **إشراف الدكتور: أبو بكر مرزوق**

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
فنطازي محمد	استاذ التعليم العالي	رئيسا
مرزوق أبو بكر	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقرّرا
عثماني بولرباح	أستاذ التعليم العالي	مناقشا

السنة الجامعية
1445/ 1446 -2023/ 2024

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى في محكم كتابه الكريم

{نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِ ذِي عِلْمٍ عَلِيمُ}

صدق الله العلي العظيم

يوسف/76.

إهداء

من قال أنا لها .... "نالها"

وأنا لها وإن أبت، رغما عنها أتيت بها.

لم تكن الرحلة قصيرة ولا ينبغي لها أن تكون

لم يكن الحلم قريبا ولا الطريق كان محفوفا بالتسهيلات

لكني فعلتها ونلتها.

الحمد لله حبا وشكرا وامتنانا، الذي بفضله ها أنا اليوم أنظر إلى حلم طال انتظاره

وقد أصبح واقعا أفتخر به.

إلى ملاكي الطاهر، وقوتي بعد الله، داعمتي الأولى والأبدية "أمي"

أهديك هذا الإنجاز الذي لولا تضحياتك لما كان له وجود، ممتنة لأن الله

قد اصطفاك لي من البشر أما خير سند وعوض.

إلى من دعمني بلا حدود وأعطاني بلا مقابل

"أبي".

إلى من تذكرني بقوتي وتقف خلفي كظلي

"نفسي".

إلى من قيل فيهم:

{سَنَشُدُ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ}

إلى من مد يده دون كلل ولا ملل وقت ضعفي

إخوتي وأخواتي أدامكم الله ضلعًا ثابتًا لي.

إلى من آمنت بقدراتي وأمان أيامي

"أختي الكبرى".

إلى من ساندني بكل حب وقت ضعفي صديقاتي

"الزهرة، فايزة، صفية".

إلى كل من أعطاني يد العون من قريب أو بعيد وساعدني في هذا المشوار

حنان

كلمة شكر

الحمد لله الذي تواضع لعظمته كل شيء

الحمد لله الذي خضع لملكه كل شيء

الحمد لله الذي ذل لعظمته كل شيء

الحمد لله الذي استسلم لقدرته كل شيء

واللهم صلي وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم في الأولين

والآخرين أما بعد:

أتقدم بالشكر الجزيل

إلى كل من الأستاذ المشرف الذي كان له الفضل في إنجاز مذكرتي

الدكتور أبو بكر مرزوق

وقفة إجلال لأحيي جميع أساتذة قسم الأدب العربي

وعلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث من قريب ومن بعيد

وشكرا

حنان

مقدمة

مقدمة

الحمد لله الذي علمنا البيان، وأكرمنا بنعمتي العقل واللسان، وفضلنا على كثير من خلقه، فجعلنا أهلا لهذا الدين. وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

إن المرأة هي الركيزة الأساسية في معظم الشعر الجاهلي، سواء أقصد الشاعر المرأة بقصائد مستقلة، أم رمز غزله بها من خلال مشاهد عديدة، منها: الطلل وارتحال الظعائن، وغيرهما من المشاهد.

ويشغل الغزل من الإرث الشعري الجاهلي مكانًا واسعًا حتى يكاد أن يكون الجزء الأكبر من ثروتنا الأدبية، ولا تزال المرأة كانت ركنًا أساسيًا في الحياة الجاهلية؛ ليس لدى الشعراء فحسب، بل في جميع مجالات الحياة؛ فهي الحبيبة والأم، والأخت، والزوجة، والبنت، والشاعرة، والمربية. ولقد افتُتن بها الشاعر الجاهلي أيّما افتتان، ووصفها في كلّ مناسبة، فأحبّها، واحترمها، وأنزلها المنزلة التي تليق بها.

أمّا في الشعر، فقد اقتصرت أغلب القصائد الغزلية، في الشعر الجاهلي، على وصف الجمال الخارجي للمرأة، كجمال الوجه والجسم والمظهر الخارجي، وكان الشعراء يتفننون بوصف هذا الجمال، لكنهم قلَما تطرقوا إلى وصف ما ترك هذا الجمال من أثرٍ في عواطفهم ونفوسهم. إلاّ أنها – من جهة أخرى – عانت المرأة من التهميش،وطغيان الرجل عليها، حيث كان ينظر إليها ملكية من بين ممتلكاته وبعض متاعه، تشترى وتباع، دون أن تتمتع بحقوق طبيعية أو مكانة اجتماعية.

ومن بين أكثر الممارسات قسوة، التي تعرضت إليه المرأة في بعض القبائل جريمة "الوأد"؛ إذ كان بعض العرب يدفنون بناتهم مع ولادتهم خوفًا من الفقر والعار، ولم يكن لها حق في ميراث والدها، أو زوجها، كما لم يكن لها الحق في اختيار الزوج؛ فقد كان الأب هو من يختار لها دون مراعاة رغبتها أو مشاعرها، وكان للرجل حق في طلاق زوجته دون قيود أو شروط.

جاء الإسلام لينهي كل ما عاشته المرأة – آنذاك – ورفع مكانتها، وعظّم منزلتها، وحفظ كرامتها وعرضها، ومنحها حقوقا لم تتمتع بها في الجاهلية، كالحق في الحياة، والزواج، والطلاق، والميراث، والتعلم والتعليم.. وجعل المرأة والرجل سواسية، شريكين في بناء الأسرة والمجتمع، ومسؤولين على تربية الأبناء. وحرم الإسلام – بالقرآن الكريم – جميع الممارسات التي كانت تمارس ضد المرأة في الجاهلية، مثل الوأد والزواج دون رضى، والطلاق التعفسي.

ولأجل معاينة هذه الأوضاع الاجتماعية التي درجت عليها المرأة في جاهليته، والتحوّل الإنساني الذي شهدته المرأة في كنف دعوة الإسلام، وقع الاختيار على شخصية شاعرة مخضرمة، مثلت أبعاد الحقبتين في شعرها، هي شخصية "تميم بن أبيّ بن مقبل"، ومن خلاله سنحاول تناول موضوعة المرأة، وواقعها من خلال نظرة الشاعر إليها في ديوانه.

ولعلّ سبب اختيار هذا الموضوع، يعود إلى أمرين:

الأمر الأول: هو محاولة استثمار فكرة كنت قد اشتغلت عليها منذ مرحلة الليسانس، وأردت أن أتمثّلها عبر دراسة جادة تؤرخ للمرأة من منظور فني (شعري)، بعيدا عن الحقائق العلمية والتاريخية الصارمة التي تؤمن بالواقع ونتائجه، دون وضع اعتبار لحالات قد توصف بالشاذ الذي يحفظ، ولا يقاس عليه، أو بالسابقة الخطيرة التي يجب ألاّ تتكرّر، حين أمكن للمرأة أن يرتفع صوتها، وأن تكون نفسها، وذاتها. ومن هنا، كانت مساءلة النص الشعري مسألة ملحّة؛ ذلك أنّ التجربة الشعرية قد تمنح الشاعر – وهو يتناول موضوعة المرأة – فسحة التأمّل في هذا الكائن الوديع، وخوض تجربة إنسانية جميلة عبر التجربة الشعرية، تكشف عن هذا المسكوت عنه.

الأمر الثاني: أنّ هذه الفكرة التي حملتها لأستاذي المشرف، قد دعمها بأن اقترح علي أن أطبقه على شخصية شاعرة كانت موضوع بحث أكاديمي أنجزه الشهيد – بإذن الله – المرحوم (مسعود عامر) عميد كلية الآداب واللغات بجامعة عمار الثليجي بالأغواط، وهو موضوع شهادة الماجستير التي نالها من جامعة دمشق، وكان عنوانها ***"تميم بن أبي بن مقبل (حياته وشعره)"***، فحظيت بشرفين: شرف استثمار فكرتي البحثية القديمة، وشرف استثمار أثر علمي من آثار علم من أعلام قسم اللغة والأدب العربي بجامعة الأغواط.

وأمام هذه الحوافز، حرصت أن أحدّد إشكالية موضوع البحث، ولعلّه إشكالية مثلت مرتكز شعر تميم بن أبي بن مقبل القلق مع موضوعة المرأة، تجلت في ذلك الصراع النفسي الذي نجم عن تفريق الإسلام بينه وبين زوجته (الدهماء) كون زواجه "زواج مقت" [وهو زواج جاهلي يرث فيه الرجل زوجات الأب ضمن تركته]، حيث لم يستطع ابن مقبل أن ينسى حبّه الأول، فعاش يذكره في شعره تصريحا وتلميحا، فاستحقت هذه التجربة الوجدانية أن تدرس.

لأجل ذلك، ارتأينا أن يكون عنوان البحث:

"صورة المرأة في شعر تميم بن أبي بن مقبل"

الذي اقتضى خطة تقوم على فصلين، تتفرع عنهما مباحث ومطالب مع خاتمة مستنتجة.

الفصل الأول: وعنوانه: **(واقع المرأة في الجاهلية وصدر الإسلام)**، وتفرع عنه مبحثان:

المبحث الأول: وعنوانه **(واقع المرأة في الجاهلية)**: حيث تناول الواقع الاقتصادي، والسياسي، والاجتماعي، والنُظُمي، والفكري.

المبحث الثاني: واقع المرأة في الإسلام، وكرس للكلام عن أنواع الحقوق التي نالتها المرأة في كنف الإسلام.

الفصل الثاني: وعنوانه: **(واقع المرأة في شعر تميم بن أبيّ بن مقبل)**، وتفرّع عنه مبحثان أيضا:

المبحث الأول: تناول **(واقع المرأة في الشعر الجاهلي والإسلامي)**، وقام على مطلبين:

المطلب الأول: تناول **(المرأة في الواقع الشعري الجاهلي)**: المرأة والشعر – الشعر والمرأة – غرض الغزل وموضوعة المرأة.

المطلب الثاني: تناول **(المرأة في الواقع الشعري الإسلامي)**

المبحث الثاني: فتناول **(واقع المرأة في شعر ابن مقبل)**، عبر ثلاثة مطالب

المطلب الأول: **(ابن مقبل: حياته وشعره)**

المطلب الثاني: **(المرأة في شعر ابن مقبل الجاهلي)** تناول تجربة الغزل في ديوانه، وما ذكر من النساء في شعره، وخصائص شعره الصناعي والعاطفي.

المطلب الثالث: تناول **(توظيف المرأة في شعره)**، منها: المرأة والمطالع الشعرية، وصورة المرأة في الغزل، والمرأة والصورة الشعرية.

الخاتمة: التي حاولنا أن تستخلص أهم عناصر البحث.

ولعل **المنهج** الذي يتلاءم مع هذه المقاربة المنهج (الوصفي – التحليلي)، المستند إلى المنهج (التاريخي – الاجتماعي).

أما **صعوبات البحث**: ولقد واجهتنا في البحث عسر التعامل مع مدونة ابن مقبل الشعرية، الصعبة الألفاظ لشدة بداوتها مما اقتضى منا الوقوف على شروح أهل اللغة الذين لم يتفقوا على دلالات الألفاظ، فزاد من عسر تلقيها وتذوقها، إلى جانب قلة الدراسات حول شعر تميم بن مقبل. على أن الإشكال الأول كان في ضيق الوقت، وصرامة آجال وضع الرسالة في الإدارة، الذي لم يسعفنا على مراجعة البحث، والتدقيق فيه.

أما **مصادر البحث ومراجعه**: فقد تم الاعتماد على:

– ديوان تميم بن مقبل، تحقيق وشرح عزّت حسن، كما كان الاعتماد الكلي على مرجعين أساسيين، هما:

– عامر مسعود، **تميم بن أبي بن مقبل (حياته، وشعره)**، (رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في جامعة دمشق).

– عبد الله الفَيفي، وكتابه "**قلق الخضرمة بين الجاهلي والإسلامي**" (جزءان).

وفي الأخير: أهدي – أنا وأستاذي – ثمرة جهدي العلمي إلى روح الشهيد – بإذنه تعالى – الأستاذ عامر مسعود، راجيين أن يتقبله الله فيمن عنده، ويغفر ذنبه، ويحسن إليه.. آمين.

وفي الختام: فلئن كنّت قد وفقت فيما سعيا إليه بتوفيق من الله – عز وجل – ثم بفضل أستاذي الفاضل " مرزوق أبو بكر"، الذي لم يبخل علي بكريم أخلاقه، وسديد نصائحه، وخالص توجيهاته، بل وبمشاركته في بعض تفاصيل هذا البحث، فجزاه الله عني خيرًا.

الفصل الأول

واقع المرأة في الجاهلية وصدر الإسلام

توطئة:

تنبه دارسو الأدب الجاهلي ومؤرخوه إلى أصالة التراث الأدبي وصحّته، فقد كان مرآة أمينة لحياة العرب، وصورة وافية لمظاهر حياتهم: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، ووثيقة تاريخية تعكس آثارهم الثقافية والدينية والأدبية. وكان الشعر أصدق فنونهم في التعبير عن آمالهم وآلامهم، وأفكارهم وعواطفهم، وأذواقهم وجمالياتهم؛ لارتباطه الوثيق بحياتهم العامة والخاصة، ساعد في ذلك وفرة إنتاجهم الشعري حفظا ورواية، ونظما وإبداعا، فكان الشعر –كما قال القدامى – ديوانهم التاريخي الذي رسم تفاصيل وجودهم، بل "كان الشعر أدق مصّور للحياة، لأنّه يتناول ما يهمله التاريخ"[1]

وثّق الشعر حياة العرب ما لم يستطع التاريخ توثيقه، فهو يمتد قرابة قرن ونصف قبل دعوة الإسلام، وقد عزّز القرآن، في كثير من سوره، ما عكسه الشعر الجاهلي من مظاهر الحياة الجاهلية، بمختلف تمظهراتها الحضارية والثقافية.

لقد زخر شعر العرب بجميع الموضوعات التي يمكن أن يتناوله مؤرخو الأدب ودارسوه عن بيئة العصر الجاهلي، حتى يخيل للباحث فيه أنه لم يعد شيء من هذا العصر إلا وأخذ نصيبا وافرا من التناول والبحث والدراسة، حيث تشبعت عناصرها في خصوبة وحيوية، وإن اختلفت أبنية هذا الشعر وصوره، أو اختلفت الآراء في روايته، وجمعها وتدوينه، غير أنّه مثّل المنبت الخصب والمنبع الصافي لتراث العرب عبر مختلف عصوره، وأطواره[2].

ولو نظرنا إلى الشعر الجاهلي الذي هو المصدر الأساس الذي استمد منها الباحثون مادة أبحاثهم في معرض استكشافهم لمجاهل حياة العرب في مختلف نواحيها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ولو نظرنا سريعا لوجدنا المرأة نالت حظا وافرا في القصيدة الجاهلية، حتى غدت معلما من معالم هذا العصر.

[1]– أحمد محمد الحوفي: الحياة العربية في الشعر الجاهلي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ط.2، 1952، ص. 4.

[2]– علي اللافي جولق: مكانة المرأة في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، كلية التربية العجيلات، جامعة الزاوية، ليبيا. 2018. ينظر الرابط: https://zu.edu.ly/uploadfiles/file1557932611151.

المبحث الأول: واقع المرأة في الجاهلية

المرأة والواقع الاقتصادي

لا نحسب المرأة الجاهلية بعيدة عن واقعها في عصرها، أو أن تكون حياتها مختلفة عن حياة الناس، في اقتصادها وسياستها واجتماعها وفكرها وفي حضورها الثقافي الذي يصوره الأدب بمختلف أغراضه وفنونه.

لقد كان المرأة، على مختلف مستويات حياتها المادية والاجتماعية، قريبة الحضور مع الرجل، تتقاسم معه الوظائف، وربما تشاركه في بعض وظائف الرجل، كحمل السلاح، والدفاع عن شرف القبيلة ومصالحها الحيوية، أو إدارة المال والأعمال.

لقد كان حضور المرآة فاعلا ومؤثرا، يمكن فهمه – اليوم – من الأعمال التي توكل إلى النساء عند البدو الرحل، حيث تظهر آثارها المادية في نمط حياة عرب الجاهلية. فقد عملت المرأة في كافة المجالات الاقتصادية المرتبطة بالرعي، وهو المصدر الاقتصادي الأساسي الذي قامت عليه حياة القبائل العربية، فكانت قريبة من الإبل، والغنم، والفرس، تتقن التعامل معها، وتشارك الرجل في رعايتها وحمايتها، كما شاركت في الزراعة وما يرتبط بالحرث والزرع، والصناعة، وما يرتبط ببعض الصناعات المهنية كغزل الصوف، ودبغ الجلود، وصناعة بعض الأدوات المنزلية التي تظهر الحاجة اليومية إليها، وربما ساهمت في توفير بعض السلاح للدفاع عن النفس، وعلى الأنعام، مثل إصلاح الرماح، والسهام، وقد تساهم المرأة الجاهلية في إدارة بعض الأعمال التجارية، والمهن والحرف.

إنّ هذه الصورة الموجبة لدور المرأة الجاهلية في الحياة الاقتصادية تحتاج إلى تثمين، ويكون التثمين – أولا – من مجتمعها الذي تعيش فيه، ومن هنا، أمكن طرح السؤال: هل حظيت المرأة الجاهلية بحقها ومكانتها مقابل ما كانت تقدمه لمجتمعها من خدمات حيوية وجليلة، أم أنّ هذه الوظائف لا تختلف عن الوظائف التي كان يقوم بها الخدم السلم الاجتماعي الطبقي للقبيلة، خاصة إذا علمنا أن النظام الاجتماعية الفعلي الذي يحكم النظام السياسي كانت بيد الرجل. ولكي نقف على صورة واضحة لحقيقة المرأة في العصر الجاهلي، سنحاول أن ننظر إلى واقعها السياسي والاجتماعي وما يترتب عليه من واقع فكري ثقافي.

المرأة والواقع السياسي

حين النظر في المصادر التي تؤرخ لمجتمع الجاهلية، وتتناول المرأة في هذا العصر، نتبيّن بعض التعارض والتناقض فيها بالنظر للجهة التي أرّخت للعهد الجاهلي.

كان المستشرقون السباقين إلى التأريخ لحياة العرب القديمة، وذلك لأهداف كثيرة مرتبطة في معظمها بفكرة الاستعمار، إلى جنب الموقف من دعوة الإسلام، التي تتطلب معرفة أصول المجتمع الذي انبثقت فيه الدعوة المحمدية، غير أنّه لا يجب الحكم على كل الكتابات الاستشراقية بهذا الحكم الصارم، أو ننظر النظرة المريبة دائما، لكل ما يصدر عن الغرب، إذ قد نصادف بعض الدراسات التاريخية والاجتماعية الاستشراقية قد انطلق أصحابها من موقف أخلاقي ومبدأ مهني، لا ينتصر فيه أصحابه إلاّ للحقيقة العلمية الموضوعية.

كما لا ننكر المجهود الذي قام به محققو التراث العرب، الذي حاولوا إظهار الحقائق التاريخية بعودتهم إلى تراثنا الديني والتاريخي، وتحمّل مسؤولية التأريخ الموضوعي بعيدا عن كلّ وسيط، مع إنصاف الصادقين من علماء الاستشراق وتثمين جهودهم العلمية.

لقد أفادت المصادر الموضوعية التي تناولت الفترة الجاهلية أن المرأة لم تكن ممتهنة بالصورة التي حرص بعض المستشرقين على رسمها في أذهاننا لواقع المرأة – عصرئذٍ – كما أكدوا حضورها في كل مجالات الحياة اعتمادا على النصوص الدينية والأدبية — شعرا ونثرا — التي عكست حقيقة المرأة في المجتمع الجاهلي، ودورها الفاعل في كثير من مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية.

فمن الشواهد الدالة على المنزلة الكريمة التي تمتعت بها في ذلك الوقت، وصولها إلى مناصب السلطة والقيادة، مثل (**زنوبيا**) التي حكمت تدمر، و(**بلقيس**) التي حكمت سبأ، حيث صور القرآن الكريم عظم عرشها بقوله تعالى: ((وأُوتِيتْ مِن كُلِ شَيْءٍ ولَهَا عَرْشٌ عَظيمٌ)) [النمل: 23] ، ووصف حكمها الذي يقوم على مبدإ الشورى، فقال: ((يَا أَيهاَ الملَؤُ أَفتوُني في أَمرِي ما كُنتُ قَاطِعةً أَمرًا حَتى تَشهَدُونِ)) [النمل: 32] ، ومشاركتها المتميزة في شؤون الملك، وقدرتها على اتخاذ القرار، والمشاركة الفاعلة في الحياة دون أن تحرم من حقوقها وحريتها.

ومن الدلائل الدالة على دور المرأة في الجاهلية: دورها البارز في الحياة العسكرية، ومشاركتها في التحريض على القتال، وإثارة الحماس، بل مشاركتها الفعلية في الحروب، وفي إسعاف المرضى، والاعتناء بالمقاتلين المصابين، والتطبيب من اختصاص المرأة عند العرب، بل نجدها – في بعض الأحيان — على رأس الجيش إلى الحرب، مثل القائدة (**رقاش الطيئية**)، وتقبل كلمتها إذا ما أجارت أحدا أو استجار بها أحد؛ فقد أجارت (**فكيهة بنت قتادة**)، خالة طرفة بن العبد، السليك بن السُلَكَة (أحد صعاليك جزيرة العرب)، وحمتْه من بكر بن وائل، أعدائه، فمدحها السليك في قوله[1]:

لعمر أبيك، والأنباءُ تنمى لنعم الجارُ أختُ بني عوارا[2]

عنيْتُ بها (فكيهةَ) حين قامت لنصل السيف، وانتزعوا الخمارا

من الخفرات[3] لم تفضح أخاها ولم ترفع لوالدها شنارا[4]

كما حمت (**ريطة بنت جذْل الطعَّان**) دريد بن الصمّة، اعترافا بفضله، لأنّه كان قد أعطى رمحه ربيعة بن مكدم، يوم حمى الضغينة، فألقت عليه ثوبها وقالت: "يا آل فراس، أنا جارةٌ له منكم، هذا صاحبنا يوم الوادي"، فحبسه القوم وقالوا: "لا ينبغي أن نكفر نعمته"، وقال بعضهم: "والله لا يخرج من أيدينا إلا برضى المخارق الذي أسره"، فانبعثت ريطة في الليل قائلة:

سنجزي دريدا عن ربيعةَ نعمة وكل فتى يُجْزَى بما كان قَدَّما

سنجزيه نُعْمَى لم تكن بصغيرة بإعطائه الرمحَ السديدَ المُقَوّما

فلو كان حياً لم يضق بثوابه ذراعاً، غنياً كان، أو كان مُعْدَما

ففكوا دريداً من إسار مخارق ولا تجعلوا البؤسى إلى الشرّ سُلما

فلما أصبح القوم، تعاونوا بينهم فأطلقوه، وكسته ريطة وجهزته، ولحق بقومه، فلم يزل كافاً عن غزو بني فراس حتى هلك.[5]

---

[1]– أحمد محمد الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، (د.ت)، ص. 421.

[2]– بني عوار: بني العوار في الاشتقاق وهم من رجال بني عُكابة.

[3]– الشنار: العيب والعار.

[4]– الخفرات: جمع خفيرة وهي المرأة الشديدة الحياء.

[5]– أحمد محمد الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، صص. 421، 422.

ولم تكن النظرة إلى المرأة نظرة مبتذلة كما هو شائع، بل كانت نظرة احترام وتقدير وعفة، لاسيما الجارة، يقول الشاعر الفارس:[1]

ما اِستَمتُ أُنثى نَفسَها في مَوطِنٍ حتَى أُوَفِي مَهرَها مَولاها[2]

أَغشَى فَتاةَ الحَيِ عِندَ حَليلِها وَإذا غَزَا في الجَيشِ لا أَغشَاها[3]

وأَغُضُ طَرَفي ما بَدَت لي جَارَتي حَتَى يُوَاري جَارَتي مَأواها[4]

إني اِمرُؤٌ سَمحُ الخَلِيقَةِ ماجِدٌ لا أُتبِعُ النَفسَ اللَجوجَ هَواهَا[5]

المرأة والواقع الاجتماعي

كان المجتمع الجاهلي مجتمعا ذكوريا، وكان للعرف الاجتماعي سلطته الفاعلة على المرأة في وجودها ومكانتها الاجتماعية. فتاريخ الجاهلية حافل بالأخبار التي تحدثت عن وأد البنات، الذي لم يكن سنّة عامة عند عرب الجاهلية، بل عرف عند بعض القبائل مثل: ربيعة وكندة وتميم، مرتبطة بكبرياء الرجل حين تغدو الأنثى ورقة ضغط ومساومة للرجل ،كما عكس سلطة الرجل على المرأة، وسطوته عليها، تحت إكراهات الصراع القبلي، واستشراء السبي، واستعباد النساء، مما فرض على المجتمع الجاهلي تفضيل الذكور على الإناث، وتضييق الخناق على المرأة، بأن أحيطت بكثير من الحماية والحفظ والصيانة، خشية أن تسبى عند الغلبة، أو تنتهك الأعراض في أثناء الصراعات القبلية في معركة بقائها، ومحافظتها على وجودها، إذ الذكور هم الذين يدافعون عن الأرض والعرض، ويحمون القبيلة من الإغارة على أرزاقها، والسطو على إبلها ومواشيها، فكان لهذه الظروف الاقتصادية دور حاسم في سن القوانين الاجتماعية التي تحكم القبائل في جزيرة العرب، لتغدو – بعد ذلك – قناعات فكرية سارية المفعول في نسيج حياة العرب.

[1]– محمد سعيد مولوي، ديوان عنترة (تحقيق ودراسة)، المكتب الإسلامي، القاهرة، 1964، صص. 307، 308.

[2]– ما أسمت أنثى نفسها: لم أراودها عن نفسها طالبا للحرام ومولاها وليها.

[3]– أغشاها: دخلها

[4]– أغض طرفي ما بدت لي جارتي: أغض بصري ولا أتبعها بنظري حتى تدخل منزلها وأواريها.

[5]– لا أتبع النفس اللجوج هواها: أي إذا هربت نفسي ما يكون فيه غضاضة (علي) ولجت في إرادته منعتها منه ولم أتبعها إياه.

ولا شك أن هذا الوضع القلق قد أدى إلى امتهان المرأة، متسبّبا في تخلّفها وتراجع تطوّرها الطبيعي، مما جعلها ضعيفة عاجزة عن المواجهة والتصدي لهذا المجتمع الذكوري، والاستسلام لهذه القوانين الجبرية، والأحكام العرفة الجائرة.

لقد أظهر القرآن الكريم هذا المنحى السلبي في حياة العرب الاجتماعية الجاهلية تُجاه المرأة، حين أعطى سورة نفسية مأزومة للرجل، وهو يستقبل خبر ميلاد الأنثى بتجهّم وحزن. يقول تعالى: ((**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِٱلْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ**)) [النحل: 58، 59]، كأنّما ارتكب إثما مبينا أو عارا مشينا، فهي – في اعتقاده – مجلبة للفقر، مجلبة للعار، عالة على القبيلة إن بقيت حيّة، إلاّ فيما يستوجب إنجاب ذكور يكون عليهم المعوّل في حماية القبيلة، وضمان استمرارها.

كما أشار النص القرآني إلى صورة النهي والإنكار لهذا السلوك المشين، والتقريع على هذا الموقف السالب من الأنثى، فقال تعالى: ((**وَلَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا**)) [الإسراء: 31]، وبيّن أن من أسباب القتل: عجز المرأة على تدبير الرزق، الذي يصعب على الرجال، فكيف يكون الحال مع النساء، لذلك قدم الله تعالى رزق الآباء على رزق الأبناء في مقام توقّع الفقر، والخِشية منه في المستقبل[1]، لكن المرأة – وفق المنظور الجاهلي – سوف تبقى عالة وعبئا على قومها، في أغلب معتقدات الجاهلية، ويستثنى منه القليل.

ومن الغريب أن تجد العرب – وعلى النقيض من ذلك – تحرص على العفة وصون العرض، والحفاظ على سمعة المرأة، والمبالغة في إكرامها وإحاطتها بالرعاية والصيانة، وهو من القيم العربية الأصيلة التي تتغنّى بها العرب في أنديتهم وتتداولها في أخبارهم وأشعارهم[2].

بل قد يكون للمرأة – من خلال هذا التعامل المتناقض في معاملة الرجل للمرأة – صوتا مسموعا؛ فقد ذكر ابن قتيبة، في "عيون الأخبار" ما يدل على السلطة المرأة في أسرتها. قال: "**خطب رجل من بني كلاب امرأة، فقالت له أمها: تريّث حتى أسال عنك**"[3]. وكانت العرب، إذا أرادت تكريم

[1]– جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ط. 2، 1994، 4: 551، 552.

[2]– نوري حمودي القيسي: دراسات في الشعر الجاهلي، دار الفكر، دمشق، بغداد، 1972، صص. 75، 76.

[3]– عبد الله بن مسلم بن قتيبة: عيون الأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت، 4: 13.

الأم، كنَّوْها باسم من أسماء أبنائها، كأم الفضل؛ زوجة العباس بن عبد المطلب، عم النبي (صلى الله عليه وسلم)، وفيها يقول عبد الله بن يزيد الهلالي[1]:

ما ولدت نجيبةٌ من فَحْلِ
كستَةٍ من بطن أم الفضل
أُكرِمَ بها من كَهْلَةٍ وكَهْلِ

وكانت المرأة العربية، إذا تزوجت في الغربة، يصيبها من الجزع والحزن ما يصيبها، لمفارقة الأهل والديار، ولعل هذا التخوّف والقلق من الزواج من شخص لا ينتمي إلى قبيلتها يعود – في الدرجة الأولى – إلى انغلاق المجتمعات القبلية في بيئتها الصحراوية؛ إذْ فلم تألف القبيلة الواحدة أن تتصاهر مع القبائل الأخرى، وإن كانوا أبناء عمومة، ما لم تكن المصلحة الأمنية أو الاقتصادية مقدمة، حيث تلجأ بعض القبائل إلى المصاهرة من قبيلة أخرى؛ تكون أقوى منها غالبا، أو تدخل في تحالفات مع القبائل، فتكون النساء أهم أطراف هذه التعاقدات والاتفاقات المبرمة، وهو أمر شائع عند كثير من الأمم العربية والأعجمية في كل زمان. وربما كان وضع القبيلة – القائم على الرحلة الدائمة والتنقل إلى أماكن الماء والكلأ – من الأسباب التي تمنع الزواج خارج القبيلة كون "التنقل من مكانٍ إلى أخر يتطلّب أيّاما طِويلة من السفر الشاق، واختراق القبائل المعادية لانعدام الأمن[2].

وإذا كانت المرأة – في منطق التفكير العربي – وسيلة للمتعة، وطريقا لإشباع الغريزة، فإنّها – في جوانب كثيرة – هي محل إكرام وتبجيل، ومكنة ومكانة في حياته الخاصة، وسندا أساسيا دائما له في جميع أحواله؛ إذ هي الحبيبة، ومُنجِبة نسله، ومنشئة أولاده؛ تقوم على أمر معاشهم وتتعهّد شؤونهم وتقف على تكوينهم النفسي والاجتماعي، بل نجدها تزاحم الرجل في بعض أعماله الحيوية، كالرعي والاهتمام بأمر ماشيته وإبله وخيله، بل نجدها تسهم في أثناء المعارك والحروب ، التي لا تكاد تتوقف، تسقي الماء وتداوي الجرحى، وتجمع النبال، وقد تشارك في التصدي والدفاع؛ وهي – في كثير من الأحيان – القاعدة الخلفية التي يستمد منها الرجال القوة، ويستلهمون من حضورها الشجاعة وحسن

[1]– أحمد عيسى: الغناء للأطفال عند العرب، مؤسسة هنداوي للنشر، 1936، ص. 36.

[2]– عبد الملك مرتاض: السبع المعلقات (مقاربة سيميائية / أنتروبولوجية لنصوصها)، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص. 426.

البلاء في ساحة الحرب، فيثبتون في حمايتها، وإبداء الشجاعة أمامها، وذلك من متطلبات العلاقة الاجتماعية الحيوية بين الرجل والمرأة، وإلى ذلك يشير عمرو بن كلثوم في معلقته[1]:

على آثارنا بيضٌ حسانٌ نُحاذِرُ أن تُقْسَم أو تَهُونا
يَقُتْنَ جِيادَنا ويَقُلْنَ لستم بُعُولَتَنا إذا لمْ تَمْنَعونا[2]
ظَعائنَ من بَني جُشمَ بنِ بَكْرٍ خَلَطْنَ بميسَمٍ حَسْباً ودِينا[3]
ومَا مَنَعَ الظَعَائنِ مثلُ ضَرْب تَرَى مِنهُ السَواعِدَ كالقُلِينا[4]

لقد انفرد عمرو بن كلثوم من بين أصحاب الشعر في توضيح هذه الصورة الراقية لدور المرأة في ذلك المجتمع المتحارب المتصارع، ليس من أجل البقاء فحسب، بل من أجل الاستعلاء، ولذلك فإن المرأة عند أغلب الشعراء ليست امرأة لإشباع الرغبات، ثمّ لا شيء بعد ذلك، بينما هي عند عمرو بن كلثوم عضو مؤثر في المجتمع لها كامل الحقوق، وعليها كل الواجبات، تشارك في الحرب ولها دور فعال في جوانب الحياة الأخرى[5].

كما شكلت المرأة في الوسط الصحراوي خير رفيق وخير أنيس للرجل الذي لم تمنعه بداوته من التودّد إليها[6]، ويعترف بفضلها وشرف منزلتها، ويستبسل في حربه حتى يكبر في عينيها، مثل الذي فعله عنترة، وهو يخاطب ابنة عمه (عبلة)، مفتخرا ببطولاته ومشيدا بتضحياته حتى يحظى برضاها. يقول عنترة[7]:

هلا سألتِ الخيلَ يا بنةَ مالكٍ إن كنتِ جاهلةً بما لمْ تَعلمي
يُخبرْك من شهد الوقيعة أنني أغشى الوغى وأعِف عند المغنمِ

[1]- عمرو بن كلثوم: الديوان، تح. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.1، 1996، ص. 86.

[2]- يقتن: من القوت: يطعمن ويعلفن الخيول ويقلن: لستم أزواجنا إذا لم تمنعونا من سبي الأعداء إيانا.

[3]- الميسم: الحسن والجمال، وهو من الوسام والوسامة. الحسب: ما يحسب من مكارم الإنسان ومكارم الآباء.

[4]- الظعائن: الهوادج التي تحمل النساء. القلين: القلون جمع قلّة، وهي لعبة للأطفال، يستعمل فيها عودين: صغير وكبير، حيث يضربون العود الصغير بالعود الكبير ويقدرون مسافة الرمية. يقول: ما منع النساء من السبي مثل ضرب أيد وسواعد الأعداء، فتطير كما تطير القلّة إذا ما ضربت.

[5]- عبد الملك مرتاض: السبع المعلقات، صص. 410 – 426.

[6]- زهور دويكات: صورة المرأة في النثر الجاهلي (رسالة ماجستير)، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2013، ص30.

[7]- عنترة بن شداد: الديوان، شرح: أمين سعيد، المكتبة التجارية الكبرى للنشر، مصر، 1995، ص. 131.

لعل حب الشاعر لقبيلته واعتزازه بها، والتغني بأمجادها ومآثرها هو جزء من هذه القيم الاجتماعية – بموجبها وسالبها – فقد كرّس هذه الأعراف الجائرة، لتصبح جزءا من تكوينه الفكري، ومن ثم، تكوينه الشعري، فتتجلى المرأة حاضرة في جل أغراضه الشعرية، مثل: الغزل والوصف والرثاء والهجاء وشعر التشكّي، على أنّ الغزل كان من مقدمات أغراضه فيه.

المرأة والواقع النُظُمي (التشريعي)

وحين ننظر إلى حقوق المرأة في الجاهلية، نجد أنّها تمتعت بالعديد من الحقوق التي يجب عليها أن تمتلكها. فقد تباين الوضع الاجتماعي للمرأة العربية بحسب الطبقة الاجتماعية التي تنتمي المرأة إليها، فكانت هناك المرأة "الحرة"، التي ظفرت بالاحترام والطاعة، والمرأة "الجارية" الرقيقة المستعبدة التي لم تنل غير المهانة والامتهان، وفي المجمل كانت المرأة في ذلك العصر تتمتع بحرية واسعة، لا تختلف كثيراً عن حرية الرجل من حيث الخروج والاختلاط، والزواج، والطلاق. ويعود وجود هذه الحرية إلى غياب السلطة في مفهومها القمعي وسيطرتها على سلوك الفرد ورغباته.[1]

غير أنّ حقوق المرأة، في عصر الجاهلية، كانت تختلف من امرأة إلى أخرى حسب الظروف الاجتماعية السائدة، وحينها كانت هناك من أُعطيت حقوقها كاملة، وهناك من كانت تملك بعضاً منها فقط، وهناك من سُلبت حقوقها بالكامل، كالتي ولدت ووئدت، فلم تمنح الحق في الحياة أصلا. ولم يكن هناك نظام اجتماعي قائم، ولا تشريع أخلاقي صارم، إلاّ ما كان يمليه العر، وتحكمه العادات والتقاليد، التي تستند إلى مبدأ الأقوى، والأصلح، بعيدا عن فكرة العدالة الإنسانية، التي لم يتعرّف إليها عرب الجاهلية إلاّ من نعمة الإسلام، والدعوة المحمديّة، وإن كان هناك قانون وضعي يحاول أن يحمي المرأة في الجاهلية من عدوان نفسها أو من تسلّط الرجل عليها. فكان الرجل يعاشرها بشيء من المعروف، وربما الوفاء أيضا، في إطار العلاقة الزوجية المشروعة.

وعلى غرار النساء اللواتي كانت لهن هذه الحظوة من بعولتهن، فتمتعن بكامل الحريات واستفدن من مختلف الحقوق، فإنّنا نجد من النساء من عرفت أنواعا من الإهمال والظلم في حقوقهن.

[1]– جمانة طه: المرأة العربية في منظور الدين والواقع، دار اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص. 25، 26.

لقد كثرت شواهد الشعر حول مساحة المعاملة الطبيعية التي يجب أن تحظى بها الفتاة في كنف والدها، ثم في كنف زوجها، ثم ما يمكن أن تحظى به بعد أن تصيرا أمّا وجدّة.

فالمرأة، وهي فتاة تعيش معزّزة مكرّمة في بيت أبيها، تلقى منه كل العطف واللطف، وهي ترى أنّ من حقّها أن تنعم بحياته وخيره. وقد عاشت بنات الأشراف – خاصة – عيشة رغيدة ناعمة –كما شهدت بذلك النصوص الشعرية الجاهلية – يلبسن الخز والحرير والديباج، ويقوم الإيماء والعبيد على خدمتهن[1]. فنسمع للأعشى وهو يذكر هذه الحياة المترفة فيقول[2]:

ترى الخزَ تَلْبَسُهُ ظاَهراً وتُبطَنُ من دُونِ ذاك الحريرا[3]

إذا قلَدَتْ مِعْصَماً يَارَقَيْنِـ ـن فُصِّلَ بالدُرِ فَصْلاً نضيراَ[4]

وجَلَّ زَبَرْجَدَةٌ فَوْقَهُ وياقوتةٌ خِلْتَ شيئاً نكيرا[5]

إنّ هذه الفتاة المدللة المنعمة، التي تتمتع بمكانة مرموقة، ومنزلة رفيعة عند والديها وأهلها وعشيرتها، امتلكت كامل حقّها في اختيار شريك الحياة، والزوج المناسب لها، فهي ترفض من تشاء وتقبل على من تشاء.

فهذا (تأبط شرا)، يخطب امرأة من هذيل، من بني سهم، فترفضه، لسماعها قول النساء، فيقول معلقا على رفضها:[6]

وقالوا لها: لا تنكحيه، فإنّه لأول نصل أن يلاقى مَجْمَعا[7]

فلم تَرَ مِنْ رأي فتيلاً، وحاذرت تأيُمها من لابس الليل أَرْوَعا [8]

---

[1]– علي الهاشمي، المرأة في الشعر الجاهلي، ساعدت وزارة المعارف على نشره، بغداد، ط المعارف، 1920م، ص59.

[2]– الأعشى (ميمون بن قيس):**الديوان**، دار صادر، ط.3، 2012، ص. 95.

[3]– الخز: الحرير، وقيل هو ما نسج من الصوف والحرير، أو هو اسم دابة ويطلق على الثوب المتخذ من وبرها.

[4]–يارقين: اليارق الجبارة وهو سوار عريض من حلي اليدين، فصل بالدرأي رصع به، نضير: حسن.

[5]– جل الشيء: عظم قدره، الزبرجد والياقوت من الأحجار الكريمة، والزبرجد يشبه الزمرد، وهو ألوان كثيرة والمشهور منها الأخضر المصري والأصفر القبرصي، والياقوت صاف شفاف مختلف الألوان كذلك، منه الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق، أمرا نكيرا: شديد، صعب.

[6]– أبي الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، دار الثقافة، بيروت، 1993، 21: 145.

[7]–لأول نصل: أي يموت لأول ضربة سيف.

[8]– فتيلاً: الخيط في شق النواة، لابس الليل: كثير النارات ليلا، أروع: ذكي الفؤاد، أو يعجب بشجاعته.

قليل غِرارِ النوم، أكبرُ همِّه دَمُ الثأر أو يلقى كَمِياً مُقَنَعا [1]

ولما كان للمرأة الحق لاختيار شريك حياتها، كان لها الحق في التمتّع بهذه الحياة الزوجية، وأن تبدي تدلّلها بالصورة التي تتمنى ان تكون عليه المرأة الشابة السويّة. فاسمع الأعشى، وهو يتمثّل هذا المعنى من الإدلال:[2]

ألاَ قُلْ لِتَيّاكَ ماَ بَالُهَا أَلِلْبَيْنِ تُحْدَجُ أَحْمَالُهَا[3]

أَمْ لِلدَّلاَلِ، فَأَنّ الفَتَا ةَ حَقٌ على الشَيخِ إِدْلالُها

ولما كان لها هذا الحق في التمتّع، كان لها الحق في المحافظة على بيتها، والحقّ في مراقبة زوجها ومراقبة تصرفاته وأفعاله، فتكون بمثابة ميزان من موازين الاستقامة، ترى في الرجل ما يراه وما لا يراه، وتسعى لتقوم ما أعوج من خلقه وعمله، فمن حقها أن تمنعه من الإسفاف والعكوف على اللهو والخمر[4]، بمثل ما يضيق به الأعشى ذرعا، فيقول:[5]

ذَرِيني – لَكِ الوَيْلَاتُ – آتي الغَوانِياَ مَتَى كُنْتُ ذَرَّاعاً أَسُوق السَوانِيا[6]

تُرَجّي ثَرَاءً مِنْ سِياسٍ ومِثْلِها ومِن قَبْلِها ما كنتُ للمالِ رَاجِيَا

ومن الحقوق التي تسعى المرأة إلى امتلاكها – خاصة بنات الأشراف – هي حقوق التملك، كأن يكون لها قرار طلاق نفسها من زوجها إذا لما يكن بين زوجها توافق نفسي أو اجتماعي، أو لم يطب لها العيش معه أو رأت سوء معاملته، ومثل من سلكن هذا السلوك، من النساء الشريفات: سلمى أم عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف، وفاطمة بنت الخرشب الأنمارية، وأم خارجة بن بجيلة، وماريا بنت الجعد، وعاتكة.[7]

---

[1]–غرار النوم: النوم الخفيف، كميا مقنعا: شجاعا ملثما.

[2]– الأعشى (ميمون بن قيس)، الديوان، ص. 123.

[3]– تيا: تصغير تي: اسم اشارة للمفرد المؤنث. البين: الفراق. حدج الأحمال: شدها ووسقها، وحدج البعير شد عليه الحدج، وهو مركب من مراكب النساء كالهودج.

[4]– علي الهاشمي، المرأة في الشعر الجاهلي، ص59.

[5]– ديوان الأعشى، مصدر سابق، ص 329.

[6]– ذريني: اتركيني يخاطب عاذلته يقول لها دعيني وشأني، الغواني: جمع غانية وهي المرأة الجميلة لأنها تستغني بجمالها عن الزينة، السواني: جمع سانية وهي الناضحة أي الناقة التي يستقى عليها فتحمل الماء.

[7]– ينظر: علي الهاشمي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص60.

كما كان من حقها تملّك المال والتصرّف فيه كما يتصرف الرجل، فقد كانت خديجة – رضي الله عنها – من ذوات الثروة والتجارة، وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – يتاجر لها في مالها، وكان لثريات مكة نصيب في القوافل التجارية التي اعتادت أن تعبر الصحراء شمالاً وجنوباً.[1]

ولعل من أهم حقوق المرأة على الرجل أن يحميها في أوقات الشدة والكرب، ويدافع عنها بكل ما يملك من قوة، والحقيقة أن حماية المرأة كانت مصدر فخر للشعراء العرب، ولا عجب في ذلك، فالمجتمع العربي مجتمع قبلي محافظ، فكانت الحماية متاحة لجميع القبيلة، وليس ما يخص الرجل وحده، بل كان العربي يفتخر بحفظ الشرف وحماية الحرمات وصون الأعراض، وإكرام الجارات، وغض الطرف عنهن كان مبعث فخر للعرب، وفي ديوان حاتم الكثير من الأشعار التي يفتخر فيها بهذه الصفة.[2]

المرأة في الواقع الفكري (الإعتقادي)

حفل العصر الجاهلي بكثير من المعتقدات المستندة إلى الفكر الديني الوثني، المتناسب مع نمط التفكير الجاهلي البدائي الأسطوري. وهي معتقدات انبثقت عن مصادر متعدّدة سطرت مسار حياة المجتمع الجاهلي، ورسمت قانون عاداته وأعرافه وقيمه ومعتقداته، ذلك أنّ المتمعّن في الحياة الفكرية الجاهلية على بساطتها الظاهرة، وتعقّدها الخفي، يدرك دور الدين في حياة الإنسان الجاهلي، حيث يتجلى في أنواع الرموز الدينية التي اصطنعها لتفسير العوالم المجهولة التي تحيط به، والأسرار التي جهل كنهها، فيستسلم إليها على أنّها الإله الموجب للطاعة والخضوع، متّخذ وسائط مادية تربطه بهذه العوالم الخفية، وتقربه – رمزيا – بمعبوده المقدس.

وكان ممّا قدّس الرجل الجاهلي من النبات "النخلة"، التي رأى فيها رمزا للحياة والعطاء الذي لا ينقطع[3]، وقدّس من الحيوان "الناقة" التي يعوّل عليها في معاشه وأمنه، ولم تكن هذه العبودية بعيدة عن عالم الإنسان، حيث قدس "المرأة" التي مثلت هي أيضا وجودا في حياة الرجل، فهي رمز الخصوبة والإنجاب والأمومة، ومصدر اللذة والجمال، فكانت في منظور الرجل المتعبّدة والمعبودة؛ تعبد ما يعبد،

[1]– المرجع نفسه، ص61.

[2]– حاتم الطائي: الديوان: شرح وتقديم: أحمد رشاد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.2، 2002، الصفحات: 15/ 35/ 41.

[3]– زهور دويكات، صورة المرأة في النثر الجاهلي، ص. 49.

ولكنها في حقيقة حياة الرجل أقرب معبود له لما تحمله من أسباب الوجود والتعلّق بالحياة.، وكأنّ الإله لا يكون إلاّ أنثى، وعلى ذلك كانت آلهة العرب الشهيرة: اللات والعزى ومناة[1]

ولا يزال التصوّر الديني للمرأة يلقي بظلاله في الشعر العربي الجاهلي عند تناول موضوعة المرأة، خاصة مع الأغراض المرتبطة بها ،كغرض الغزل ووصف الأنثى، حيث سلك الشعراء طريقة تجسيد شخصيتها، في شعرهم، طريقة التجسيد المادي، محاولين أن يصنعوا منها (تمثالا) ينحتون من خلاله معالم الجمال الأنثوي، ويحمّلونه مختلف تعبيراتهم النفسية والفكرية تُجاه المرأة، والناظر للشعر العرب، يدرك مدى تقارب الشعراء في استحضار صورة المرأة في أشعارهم، دلّ عليه تشابه أوصافها في معانيهم وأخيلتهم، وأساليبهم، وفي طريقة التمثيل والتجسيد والتصوير لها، وفي الغزل تحديدا، وفي الوصف على وجه العموم؛ إذ لا تكاد تخرج – في تمثيلها المادي – عن (المرأة الأنموذج)؛ أي: عن تلك الصورة النمطية: "المرأة الطويلة، البيضاء، البدينة، السوداء الشعر، النجلاء العينين، الرقيقة الملمس، الطيبة الثغر.."، مما عكس تلك الصورة المثالية المترسّبة ذات الصلة الوثيقة بالمعتقد الديني، والتي ترسّخت مظاهرها في الغزل والوصف، فما البدانة – مثلا – التي وصفت بها المرأة في الشعر الجاهلي إلا رمز لفكرة الخصوبة المؤهلة لوظيفة الأمومة عند المرأة.

وقد يرسم المعتقد الديني أنموذجا مقابلا ومناقضا لهذه الرمزية الأسطورية المثالية للمرأة، حين تصور مرة أخرى، استنادا إلى صورتها الواقعية، كمصدر للشرور ومنبع للآثام في الأرض. ولعل الكتب السماوية قد كرّست هذه الصورة السالبة (صورة الخطيئة البشرية التي تسبّبت فيه (حواء) حين أخرجت (آدم) من الجنة، وإنزاله إلى أرض الشرور، عندما أغرته بالأكل من شجرة الخلود المحرمة لتصبح المرأة مركبا ثنائيا يجمع الخير إلى الشر، ويتقلّب بين المقدّس والمدنّس[2].

لقد كانت المرأة رمزا للحب والجمال والعذوبة؛ ورمزا للخصب والخير والأمومة، فهي الأم والأخت والحبيبة، وبهذه الصفات ذكرت في الشعر الجاهلي بأعذب الأوصاف وأرقها، وأنبل المعاني وأكرمها، بل خضع لمزاج الشاعر وتناقضاته، فإذا به يصورها على الحالة التي يكون عليها لحظة قول الشعر، مستسلما للمناسبة، والموقف، والعاطفة الراهنة.

[1]– ينظر: عبد العزيز موسى درويش علي: رمزية المرأة وتجلياتها في شعر الشنفرى، ص. 12.

[2]– ينظر: عبد السلام المساوي: صورة المرأة في الشعر العربي، البيت العربي، العدد: 419.

المبحث الثاني: واقع المرأة في الإسلام

تمهيد

على الرغم مما حظيت به المرأة في العصر الجاهلي من منزلة حافظت على كرامتها، وحفظت لها كثيرا من حقوقها، فإنّها لم تسلم من سوء هذا العصر وشروره، الذي عكس طبيعة المكوّن السياسي والاجتماعي الذي حكم نظام جزيرة العرب، المستند إلى سلطة رئيس القبلة، وعلاقة الأفراد به، وكثيرا ما كانت المرأة الحلقة الضعيفة في البناء القبلي، وصراعاتها المرتبطة بأمر المعاش. وما لبث الأمر كذلك حتى ظهرت دعوة الإسلام، فكانت انقلابا حقيقيا في حياة المجتمع الجاهلي، مسّ كلّ مناحي الحياة الجاهلية في جزيرة العرب، وظهرت آثارها في وقت وجيز.

ساد الإسلام، فرفع عن الناس ظلم الظالمين، واستبداد المستبدين، وساوى بين الناس؛ فلم يفرّق بين عربي وعجمي إلاّ بالتقوى، ولم يفرق بين ذكر وأنثى إلاّ بالإيمان، والعمل الصالح، والوظيفة النافعة. قال الله تعالى: ((**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**)) [الروم: 21]

لقد كان الدين الإسلامي دين رحمة ومساواة، أخرج به الله – سبحانه وتعالى – الناس من الظلمات إلى النور، وأرسى قواعد المعاملة بين العباد بعضهم مع بعض، وبينهم وبين ربهم، وكان للمرأة من هذا العدالة الرحيمة نصيب وافر، حيث أكسبها حقوقا على حقوقها لم تكن لها من قبل.

ولقد نزلت آيات كثيرة في تنظيم حياة المرأة المختلفة، من مهدها إلى لحدها، أنصفتها، وبينت لها ما لها من حقوق وما عليها من واجبات، يحكمها تشريع ديني سماويّ عادل حكيم، يتساوى أمامه الناس، كأسنان المشط، فلا ينظر فيها إلى جنس، أو إرث، أو مكانة اجتماعية، ولا يرتد فيها إلا عرف أو عادة قد يجترئ فيها الرجل على المرأة، وفق تقاليد القبيلة. فجاء الإسلام ليقر للمرأة ما هو صالح من تلك الحريات والحقوق، وينفي عنها ما هو سيئ[1].

سوف نحاول النظر إلى واقع المرأة في الحدود الزمنية التي يحددها البحث، وهو واقع المرأة في صدر الإسلام. وعليه، فإنّ التحول من حياة الجاهلية إلى حياة الإسلام لن تكون واضحة المعالم على مستوى

[1]– نبيل خالد أبو علي: شاعرات عصر الإسلام الأول، دار الحرم للتراث، القاهرة، ط. 2، 1998، ص. 36.

البنية الفكرية والاجتماعية التي تحتاج إلى وقت أطول حتى تتأثر التأثر العميق، قياسا بالتحول الديني والسياسي والاقتصادي، الذي سوف تظهر أبعاده، زمن النبي (صلى الله عليه وسلّم)، وزمن خلفائه من بعده.

حقوقها:

– الحق في الحياة:

جاء الإسلام ونشر لواءه المنصور على أرجاء العالم وأورقت المعمورة بنور المنقذ الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم وأصلح ما أصلحه من حال البشر، فأقام المرأة في المقام الذي أوجدتها لها الرحمة الإلهية وعرف الناس بحقوقها المشروعة وأبان لهم أنها الجزء المقوم لحياة الإنسان والسبب المتمم لإيجاده، فجاء في كتابه العزيز : ((**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى**)) [الحجرات: 13] وأيضا ((**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرا ونساء**)) [النساء:1] وأبطل عادة الوأد وإعدام البنات ووجه التوبيخ والتبكيت على فاعلي ذلك بقوله عز وجل ((**وإذا الموءودة سئلت، بأي ذنب قتلت**)) [التكوير:8، 9] ((**ولا يقتلن أولادهن**)) [الممتحنة: 12] ونهى من كانوا يقتلون البنات خوف الفقر بقوله تعالى ((**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خِطْئًا كبيراً**)) [الإسراء: 31]

ولقد ذكر كثير من علماء التفسير أن المراد بالأولاد هنا البنات، وكذلك في الآية قبلها والإملاق هو الفقر والعرب تسمي البنت ولداً ومن ذلك قول بعضهم وقد بشر ببنت (والله ما هي بنعم الولد) أي بنعم المولود وجاء ذم المستتر من ولاة الأنثى في قوله تعالى ((**وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون**)) [النحل: 58، 59]. وقارن الإسلام الرجل بالمرأة في الأوامر الدينية ونواهيها وقد جاء في كتابه الكريم ((**إنّ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين لفروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد لهم مغفرة وأجرا عظيما**)) [الأحزاب: 35].

وكان صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم يوصي في الرفق بالبنات وبالرحمة والحنان عليهن حتى أنه – صلى الله عليه وسلم – كان يأمر أصحابه أنهم إذا حملوا شيئا من السوق إلى عيالهم أن يبدؤوا بالإناث قبل الذكور جبراً لخواطرهن وتحبيبا لهن عند الآباء والأمهات وغيرهما ووصاياه صلى الله عليه وسلم بالمرأة قد امتلأت بها كتب الحديث فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام "استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم"، وقوله أيضا "ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم". وقد أصلح دينه الكريم أمر الزواج وأصلح الطلاق والمواريث إصلاحا لم يبق منه مجال لقائل وأبطل السفور الباطل، وأوجب الحجاب المحافظ لشرف المرأة والصائن لكرامتها.[1]

فلا عجب بعد هذا أن نجد المسلمين يحبون بناتهم وترضي بهن نفوسهم، وذلك بعد سماعهم للقرآن الكريم، يقول الله تعالى ((**يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء ذكورا**)) [الشورى: 49]

كان معن بن أوس من الشعراء الذين يهتمون بالبنات ويعتنون بهن ويدعون إلى مواساتهن فقد كان له ثمان بنات وفتى، فمن خلال حياته وإشاراته في قصائده التي تؤكد أنه كان متزوجا أكثر من امرأة، ولم يكن موفقا في حياته الزوجية، وطلاقه منهن هذا الافتراق جعل فيه نظرة إنسانية وتأثراً من ناحية البنت، يقول:[2]

رأيت رجالا يكرهون بناتهم وفيهن لا تكذب نساء صوالح

وفيهن والأيام تعثر بالفتى عوائد لا يَمْلَلْنَه ونوائح

ويقول أبو خالد القناني – معتذرا عن الخروج للقتال بسبب بناته، مشفقا عليهن، راداً على فَطري بن الفجاءة المازني –:[3]

لقد زَادَ الحَيَاة إليَ حُبًا بَنَاتِي، أَنَهُن من الضَعافِ

مخافة أن يَرَيْنَ البُؤْسَ بَعْدِي وأنْ يَشْرَبن رَنْقاً بَعد صافِ

فَتَنْبُوُ العينُ عنْ كَرَمٍ عِجافِ ولَولا ذاكَ قدْ سَومْت مُهري

[1]– جعفر النقدي: الإسلام والمرأة، مكتبة النجاح للنشر، ط02، 1274هـ، ص: 21/ 22/ 23/ 25/24 .

[2] – معن بن أوس: الديوان، صنعة حاتم صالح الضامن، نوري حمودي القيسي، المكتبة الوطنية للنشر، بغداد،1977، ع. 11، ص. 12، 13.

[3]– ابن منظور: لسان العرب، نشر أدب الحَوزَة، قم، إيران، 1363هـ، 12:ص 511.

– الحق في المكانة:

ولم يكف الدين الجديد بالحفاظ على حياتها، بل رفع منزلتها، إذ لم تعد المرأة متاعاً يباع ويشترى – عند البعض – بل أصبحت كيان إنساني له حقوقه وعليه واجباته، فالدين يجعل العلاقة بين الرجل والمرأة المسلمة رابطة الأخوة في الدين، قال الله تعالى ((**إنما المؤمنون إخوة**)) [الحجرات: 10]، وقال تعالى ((**بعضكم من بعض**)) [آل عمران: 190]، لقد عرف الرجل المسلم في ضوء ما سنته الشريعة أن المرأة جزء من حياته لها ما له وعليها ما عليه، قال تعالى ((**ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف**)) [البقرة: 228].

وقد بلغت المرأة مكانة رفيعة فكانت في عهد الإسلام –كما كانت في الجاهلية – تجير الخائف، وتفك العاني، وذلك كله إلى تجِلَة واحترام، بلغت منهما غايتهما، فقد أجارت أم هانئ بنت أبي طالب رجلين من أحمائها كتب عليهما القتل، وذلك بحمل حديثها في سبيل ذلك، وأفتكت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إسار زوجها في الجاهلية أبي العاص بن الربيع –وكان من أسرى بدر – فأطلق بغير فداء ورُد عليه ماله، على أصِلتها به، وزواجها منه فقد فصلهما الإسلام قبل ذلك [1]

وما كانت مكانة المرأة لتسمو وترتفع لولا الحفاظ على سمعتها وشرفها، الأمر الذي صانه وحافظ عليه الإسلام والذي يتوعد كل من يقترب من حصنها المنيع بالوعيد الشديد، قال الله تعالى متوعدا من يقذف النساء في أعراضهن وشرفهن: ((**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون**)) [النور: 04]، قال تعالى أيضا ((**إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم**)) [النور: 23].

وقد حرص الدين على تربيتها وتأديبها، لأنها لن تبلغ المكانة الرفيعة والعالية إلا بالعلم والأدب، فتعليمها وتأديبها يضمن لها النجاح والازدهار في مستقبلها، سواء كانت زوجة أو أمًا أو مربية لأجيال

[1]– عبد الله العفيفي: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، المكتبة الشاملة للنشر، مصر،1932، 2: ص43، 44.

من المسلمين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها وأحسن تعليمها وأدبها وأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها كان له أجران".[1]

ولم يقتصر الدين على تعليمها والحفاظ على شرفها، بل جعلها ركيزة أساسية من ركائز المجتمع. فهي نصف المجتمع. معها تحلو الحياة وتتحقق السعادة والطمأنينة. فهي شريكة الرجل في حياته وحاضره ومستقبله، قال تعالى: ((**ومن آياته أن جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة**)) [الروم: 21]، بل الزوجة الصالحة هي خير متاع في الدنيا كما وصفت ذلك السنة الشريفة، يقول صلى الله عليه وسلم: "الدنيا متاع وخير متاع الدنيا الزوجة الصالحة".[2]

وبما أنني عرضت حال المرأة بنتاً وزوجةً، فلا بد من القول: إن الدين الجديد لم يغفل على المرأة التي هي الأم. بل ربما كان اهتمامه أكثر بمكانة الأم في المجتمع الإسلامي، التي تميزت بخصوصية الجلال والوقار وعلو المكانة، وهذه بعض الآيات التي جاءت لتبين ملامح مكانة المرأة الأم في المجتمع المسلم وتوضح العلاقة بين الأبناء والأمهات، قال تعالى ((**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا * إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً**)) [الإسراء: 27].

ويحرص الدين على مس مشاعر الأم، حتى لو بالتأفف، أي إظهار الملل والضيق من مطالبها، وهذا أعلى مظهر من مظاهر الحفاظ على المشاعر والأحاسيس، قال الله سبحانه: ((**ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا، حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً**)) [الأحقاف: 15].

وقد حرص القرآن الكريم على توجيه الأمر للإنسان بحسن الصحبة بالأم والأب، مع أن السنة أوضحت الأمر بوضوح، وأن الأم أحق بحسن الصحبة وطيبة المعاملة من الأب، وهذا التفضيل لا يحرم الأب، فالأم هي التي حملت وربت وكدت وتعبت، وهي الطرف الضعيف المحتاج إلى الحنان والرعاية.

---

[1]- ابن بطال، أبو الحسن علي: شرح صحيح البخاري، باب النكاح، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد للنشر، السعودية، الرياض، ط. 02، 2003م، ج. 07، ص. 06.

[2]- أبو الحسين مسلم: صحيح مسلم، باب خير متاع الدنيا الزوجة الصالحة، تح. محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1955م، ج. 02، ص.1090.

عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: "من أحق الناس بحسن صحابتي؟" قال: "أمك"، قال: "ثم من؟" قال: "أمك" قال: "ثم من؟" قال: "أمك"، قال: "ثم من؟". قال: "ثم أبوك"[1].

فالأم تتقدم على الأب ثلاث مرات، كما يوضح الحديث، والسبب في ذلك كثرة تعبها عليه، وعطفها عليه، وخدمتها، ومشقة حمله ثم ولادته ثم إرضاعه. له، ثم يربيه، ويخدمه، ويرضعه، ونحو ذلك.

وفي حديث آخر للمصطفى أرى أنه يعتبر بر الوالدين أفضل من الجهاد وتقديمه على التطوع بالصلاة وغيرها، عن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فاستأذنه في الجهاد فقال: "أحيٌ والداك؟". قال: "نعم". قال: "ففيهما فجاهد".[2]

– الحق في الميراث:

لقد كان من سنن العرب أن النساء لا يؤول إليهن من ميراث الرجال شيء، وكانوا يقولن في ذلك: لا يرثنا إلا من يحمل السيف ويحمي البيضة، فإذا مات ورثه ابنه فإن لم يكن، فأقرب من وجد من أوليائه، أباً كان، أو أخاً، أو عماً، على حين يضم بناته إلى بنات الوارث ونسائه، فيكون لهن ما لهن، وعليهن ما عليهن، حتى جاء الإسلام فصدع ذلك الضرب من الظالم، واختص النساء بنصيب مما ترك الرجال[3].

قال الله تعالى: ((**للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً**)) [النساء: 07].

لقد فرض الإسلام على المرأة أن تأخذ نصف ما يأخذ الرجل، وذلك لأن الرجل هو الذي ينفق ويتحمل أعباء الحياة، وأما المرأة فلا يطلب منها شيء من ذلك، قال تعالى: ((**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين**)) [النساء: 11]. بذلك يكون الدين قد أعاد للمرأة حقاً سلبته منها الجاهلية، فأغناها وطيب وأراح نفسها، وخفف عنها مشقة السعي في طلب الرزق، والإنفاق على الأبناء والبيت، وجعل ذلك من مهام الرجل، فتفرغت لشؤون بيتها من حمل وولادة، وتربية للصغار.

[1]– محمد فؤاد بن عبد الباقي: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، دار إحياء الكتب العربية للنشر، القاهرة، 1976م، ج. 03، ص. 185.

[2]– محمد فؤاد بن عبد الباقي: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ص. 185، 186.

[3]– عبد الله العفيفي: المرأة في جاهليتها وإسلامها، ج. 02، ص.33.

– الحق في المهر:

المهر أو الصداق حق من حقوق المرأة في الإسلام، قال تعالى: ((**وآتوا النساء صَدُقاتهن نحلة**)) [النساء: 04]. ومع ذلك لا يجب المبالغة والمغالاة في المهور، الأمر الذي من شأنه أن يدفع الكثير من الشباب المسلمين إلى العزوف عن الزواج، أو البقاء لسن متأخرة دون زواج، بل يجب أن نتبع سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، حين قال لأحد أصحابه: "انظر ولو خاتماً من حديد" فذهب الرجل ثم رجع، فقال: يا رسول الله ولا خاتم من حديد... فقال له – صلى الله عليه وسلم –: ما معك من القرآن؟ قال: معي سورة كذا وكذا، فقال له – صلى الله عليه وسلم – "اذهب فقد ملكْتها بما معك من القرآن".[1]

إنّ من سنن طائفة من العرب في الجاهلية عضل المرأة لتفتدي نفسها بما ورثت عن زوجها أو أخذ مهرها، فحرم الإسلام ذلك إنصافاً للمرأة وإطلاقاً لحريتها، قال تعالى: ((**يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كَرْهاً**)) [النساء: 19]. كذلك حررها من حياة الإكراه مع الزوج حين قال تعالى: ((**ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة**)) [النساء: 19]، وبذلك تكون حياة المرأة عند زوجها مكرهة محرمة عليه، إذا كان الهدف هو الضغط عليها، لتتنازل عن بعض حقوقها، إلا إذا ارتكبت الفاحشة، فلا حقوق لها عندئذ.

[1] – أبو الحسين مسلم: صحيح مسلم، ج. 02، ص. 1040.

الفصل الثانـي
واقع المرأة في شعر تميم بن أبيّ بن مقبل

المبحث الأول: واقع المرأة في الشعر الجاهلي والإسلامي

المرأة في الواقع الشعري الجاهلي

لقد شكّلت المرأة ركنا مكينا من أركان المجتمع الجاهلي، وتغنّى الشعراء بها، ولم تكن المرأة موضوعا سلبيا للشعراء، بل كانت المرأة ملهمة الشعراء[1] بما تحلّت به من صفات جليلة، كالفطنة والدهاء والحكمة والشجاعة وبعد النظر والقيادة والكلام الفصيح والمثل السائر، كهند بنت الخسّ، وجمعة بنت حابس، ورابعة القيسية، ومعاذة العدوية، ومارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث الكندية، أم الملك الغسّاني الحارث الأعرج، والتي يقول فيها حسان بن ثابت:

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر "ابن مارية" الكريم المُفَضل

وقد ضرب المثل بقُرطَيها فقيل: "خذه ولو بقرطي مارية"؛ أي: خذه بالشيء العزيز الذي لا يُقْدَر عليه، ولا يوصل إليه، وذلك للترغيب في الشيء، وإيجاب الحرص عليه[2].

ومن الدلائل الدالة على دور المرأة في الجاهلية: دورها البارز في الحياة العسكرية، ومشاركتها في التحريض على القتال، وإثارة الحماس، بل مشاركتها الفعلية في الحروب، وفي إسعاف المرضى، والاعتناء بالمقاتلين المصابين، والتطبيب من اختصاص المرأة عند العرب، بل نجدها – في بعض الأحيان — على رأس الجيش إلى الحرب، مثل القائدة (رقاش الطيئية)، وتقبل كلمتها إذا ما أجارت أحدا أو استجار بها أحد؛ فقد أجارت (فكيهة بنت قتادة)، خالة طرفة بن العبد، السليك بن السُلَكَة (أحد صعاليك جزيرة العرب)، وحمتْه من بكر بن وائل، أعدائه، فمدحها السليك في قوله[3]:

لعمر أبيك، والأنباءُ تنمى لنعم الجارُ أختُ بني عوارا[4]

عنيْتُ بها (فكيهةَ) حين قامت لنصل السيف، وانتزعوا الخمارا

من الخفرات[5] لم تفضح أخاها ولم ترفع لوالدها شنارا[1]

---

[1]– عبد العزيز موسى درويش علي: رمزية المرأة وتجلياتها في شعر الشنفري، مجلة الباحث، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، مج.1، ع. 4، 2019/05/15، ص. 12.

[2]– أحمد محمد الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، ط.2، ص. 534.

[3]– أحمد محمد العوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، (د.ت)، ص. 421.

[4]– بني عوار: بني العوار في الاشتقاق وهم من رجال بني عُكابة.

[5]– الشنار: العيب والعار.

كما حمت (ريطة بنت جذْل الطَعَّان) دريد بن الصمّة، اعترافا بفضله، لأنّه كان قد أعطى رمحه ربيعة بن مكدم، يوم حمى الضغينة، فألقت عليه ثوبها وقالت: "يا آل فراس، أنا جارةٌ له منكم، هذا صاحبنا يوم الوادي"، فحبسه القوم وقالوا: "لا ينبغي أن نكفر نعمته"، وقال بعضهم: "والله لا يخرج من أيدينا إلا برضى المخارق الذي أسره"، فانبعثت ريطة في الليل قائلة:

سنجزي دريدا عن ربيعةَ نعمة وكل فتى يُجْزَى بما كان قَدَّما

سنجزيه نُعْمَى لم تكن بصغيرة بإعطائه الرمحَ السديدَ المُقَوّما

فلو كان حياً لم يضق بثوابه ذراعاً، غنياً كان، أو كان مُعْدَما

ففكوا دريداً من إسار مخارق ولا تجعلوا البؤسى إلى الشرّ سُلما

فلما أصبح القوم، تعاونوا بينهم فأطلقوه، وكسته ريطة وجهزته، ولحق بقومه، فلم يزل كافاً عن غزو بني فراس حتى هلك.[2]

فالكلام عن موضوع المرأة، قد يراعى فيه جنس المتكلّم عنها (رجلا أم امرأة)، ذلك أنّ تناول المرأة الشاعرة لشأن من شؤونها قد يكون له خصوصيته، عند استعراض عالمها المخضرم، (في جاهليتها وإسلامها)، ومثل ذلك يقال مع الشاعر في تناوله لموضوعة المرأة وصورتها في حياته المخضرمة – جاهلية وإسلاما.

قلب المعادلة

انشغالات المرأة في عالم الرجال.

العين التي ترى بها المرأة إلى علمها الذكوري.

المرأة والشعر:

وإذا كان الشاعر قد اهتم، في قصائده، بالمرأة، فإنّنا نجد – أيضا – المرأة قد تميزت في مجال الشعر – ولو بقليل – عن الرجل، ذلك أن هذا الشعر الصادر عنهن قد ترجم جوانب كثيرة من أنفسهن، وأظهر جوانب من أحوالهن؛ وهي أمور قد لا يتعرّض إليها شعر الرجال، حيث أجادت مجموعة من الأغراض التي أعطتها طابعها الخاص، وجسّدت خصائصها ومميزاتها الفنية، فنذكر من بينها:

[1]– الخفرات: جمع خفيرة وهي المرأة الشديدة الحياء.

[2]– أحمد محمد الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص ص. 421، 422.

إجادتها فن الرثاء؛ فقد كانت العرب ترى الندب والنواح من المظاهر الدالة على تكريم الميت والوفاء له، ولا مجيد كالنساء لهذا لمثل هذا الغرض. فقد ترثي الأم ابنها، وترثي الزوجة زوجها، والبنت أباها، والأخت أخاها والقريبة قريبها، فيحسنّ تصويرهن لمظاهر الحزن والأسى، وكأنّهن خلقن لذلك. ولقد انتبه الشاعر الجاهلي معن ابن أوس إلى هذه الفطرة في المرأة، وحاجة الرجال لمن يندبهم بعد ذهابهم، فقال:

رأيت رجالا يكرهون بناتهم وفيهن لا تعدو نساء صوالح

وفيهن، والأيام يعثرن بالفتى نوادب لا يمللنه ونوائح

والشعر عامة شعر الرجال، وغير أنّه يجود مع النساء في شعر الرثاء، حين تتجلى النساء النادبات في المآتم والأحزان على نحو ما صوّرهن المهلهل، والربيع بن زياد، أو كما صورتهن النساء الشواعر، كالخنساء، حين تقول[1]:

فنساؤنا يندبن نَوْ حاً بعد هادئة النوائحْ

شعثاً شواحب لا ينيـ ـنَ إذا ونى ليل النوابحْ

يحنُنّ بعد كرى العُيُـ ـون حنينَ والهةٍ قوامحْ

يندبن فقد أخا الندى والخير والشيم الصوالحْ

والجود والأيدي الطوا ل المستفيضات السوامحْ

فالرثاء والنواح، وما يتّصل بهما هو، في العصر الجاهلي، فن النساء الشعري بامتياز، يصدران عن المرأة الثكلى، فتحسن التعبير عنه بفطرتها. والمرأة أكثر مطاوعة للأحزان، وأشدّ انصياعا لتأثير العواطف والاستجابة لها، ثم إنّ هذا الرثاء – نفسه – إذا استعرضناه، وجدنا المرأة قد خصصته بجملته لرثاء الرجل، ومع ذلك، نجد فيه شيئا يتعلّق بالمرأة، فيصور بعض نواحي حياتها. إنّنا نجد في رثائهن، وشعرهن عامة، تعبيرا صادقا حين تتعرض المرأة لتصوير أحزانها وآلامها[2]، فتلجأ إلى دموعها، أول ما تلجأ، إذا حزبها الدهر أو كربها القضاء، وإنّها تتلذّذ الحزن وتستديمه، وتوالى البكاء وتستطيله، وفاء وحسرة، أو ضعفا ورقة، ثم تنفس عن نفسها بمقطوعات تسكب فيها لوعتها وحرقتها[3].

[1]– تماضر السلّمية (الخنساء): ديوان الخنساء، شرح: حمْدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط.1، 2004، صص. 26، 27.

[2]– الخنساء: الديوان، ص. 285.

[3]– أحمد الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، ص.484.

ولعلّ من الخصائص التي تميّز رثاء النساء عن رثاء الرجال أنّهن في مراثيهن يشِدْن بفضل المرثي، وينوّهن بشجاعته وبطولته وكرمه ونجدته وعفته، فاسمع – مثلا – للخنساء، وهي ترثي أخاها صخرا، مشيدة بشجاعته وإقدامه، فتقول[1]:

فمن للحرب إذ صارت كَلُوحا وشَمَر مُشْعلوها للنهوض

وخيل قد دَلَفْتَ لها بأخرى كأن زهاءها سنَد الحضيض[2]

إذا ما القوم أحَرَبَهُمْ تُبُولٌ كذاك التَبْلُ يُطْلَب كالقروض[3]

بكُلِ مُهَنَدٍ عضبٍ حسامٍ رقيقِ الحدِ مصقولٍ رَحِيض[4]

وترثيه بالكرم، وإعانة الجار، وإصلاح ذات البين، والحلم في قولها[5]:

فمن لِقرى الأضياف بعدك إنْ همُ قبالك حلّوا ثم نادوا فأسْمَعُوا

كعهدهمِ إذْ أنت حيٌ، وإذْ لهمْ لديك مَنَالاتٌ وريٌ ومشبعُ

ومن لمهمٍ حلّ بالجارِ فادحٍ وأمرٍ وهى من صاحب ليس يُرْقع

ومن لجليسٍ مفحشٍ لجليسه عليه بجهل جاهداً يتسرَع

ولو كنت حيّا، كان إطفاء جهله بحلمك في رفق، وحلمُك أسرع[6]

وهي في رثائها لا تخرج عن وصف أحزانها، وتعداد مناقب أخويها، كما يعدد الرجال مناقب الرجال.

وتعاظمت هي وهند بنت عتبة مصيبتهما، وأدعت أن كلّ منهما أعظم بلوى، فالخنساء تعاظما بأبيها عمرو الرشيد، وأخويها صخر ومعاوية، وهند تعاظمها بأبيها عُتْبة وعمها شَيْبة وأخيها الوليد، ولكنهما في هذه المفاخرة لم يخرجا على هذا السياج، وإنما نوّهتا بالمحامد المألوفة. قالت الخنساء[1]:

---

[1]– الخنساء: الديوان، ص. 76.

[2]– سند الحضيض: أسفل الجبل، حيث يكون أرسى وأصلب

[3]– أحربهم: هيّجهم.

[4]– الرحيض: المغسول، وتريد به السيف الصقيل كأن الماء يقطر منه لشدة صفائه.

[5]– الخنساء: الديوان، ص.77.

[6]– الحي: جماعة القوم، فمعناه: لو كنت يا صخر موجودا لتداركت هذا الشر قبل استفحاله.

أبكّى أبي عمراً بعين غزيرة قليل – إذا نام الخليّ – هجودُها

وصنويّ لا أنسى معاوية الذي له من سَراة الحَرتَين وفودها[2]

وصخرا، ومن ذا مثلُ صخر إذا غدا بساحتهِ الأبطال قُزم يقودها[3]

فذلك، يا هند، الرزيّةُ، فأعلمي ونيرانُ حرب حين شبّ وقودها

فأجابتها هند بقولها[4]:

أبكيّ عميد الأبطحين كليْهما وحاميْهما من كل باغ يريدُها[5]

أبي عُتْبة الخيرات – ويحك – فاعلمي وشَيْبة، والحامي الذمار وليدها

أولئك آل المجد من آل غالب وفي العزّ منها حين يُنْمى عديدها[6]

وتنزع الخنساء النزوع نفسه في رثاء زوجها مرداس بن أبي عامر السُلَمى، فتشيد بعزيمته وشجاعته وقوته وتخليصه السبايا تقول:

وفضّلّ مرداساً على الناس فضلُهُ وأنْ كل هَمٍ هَمَه فهو فاعله

وأن كلّ وادٍ يكره القوم هَبْطَه هبطتَ، وماءٍ منهلٍ أنت ناهله

وسَبْيٍ كآرام الصريم حويتَه خلالَ ديار مستكينا عواطله[7]

متى ما توازن ماجدا يُعتدلْ به كما عدّل الميزانَ بالكفّ راطله[8]

ثم إنّ المرأة في رثائها لابنها – مثلا – لم تتحدث عما كانت تؤمله فيه، أو عما كانت تتشوّق إليه من أن يشبّ ويكبر فَتُجبر به وببنيه، ولم تتحدّث زوجة عن دماثة زوجها، وحسن عشرته لها،

---

[1]– الخنساء: الديوان، ص40.

[2]– الحرتين: حرة بني سالم وحرة بني هلال بالحجاز؛ أي هو مقصد الأشراف من القبائل يأتونه فيما يلم بهم.

[3]– ساهمة: دقيقة. الآطال: الخواصر جمع إطل. قب: جمع أقب: الفرس الدقيقة الخصر الضامرة البطن.

[4]– الخنساء: الديوان، ص. 41.

[5]– الأبطحين: بطحاء مكة وسهل تهامة.

[6]– عديدها: جموعها.

[7]– آرام: ظباء، الصريم: الرمل.

[8]– راطله: وازنه.

وعطفه عليها، ووفائه لها؛ لأنّ القدرة التي تسعفهن على الإشادة بالمحامد كفيلة أن تسعفهن بتصوير ذلك[1].

وفي كثير من مراثي الشواعر تصوير ما أصابهن من ذلّة وضعف بعد فقد، كقول فاطمة بنت الأحجم الخزاعية في رثاء أبيها:

قد كنت لي جبلا ألوذ به فتركتني أَضْحى بأَجْرَدَ ضاح

قد كنت ذات حميّة ما عشت لي أمشي البَرَازَ، وكنت أنت جنَاحي

فاليوم أخضع للذليل وأتَقي منه وأدفع ظالمي بالراح

وتعترف الخنساء بتضعضعها وحاجتها بعد صخر:

فقد خلَى أبو أوفى خِلالا علَيّ، فكلّها دخلت شِعابي[2]

وهذا ليس إثارة في رثاء الرجال، وإنما عظم حزنهن وأمضهنّ الهم.[3]

الشعر والمرأة:

ولعل الكلام عن المرأة في هذا الواقع الجديد قد يكون له أثره، سواء من جهة نظرة المرأة –نفسها – إلى هذا الواقع الجديد، أو نظرة الشاعر (الرجل) إليها وفق هذا التحوّل الطارئ.

لقد كانت المرأة رمزا للحب والجمال والعذوبة؛ ورمزا للخصب والخير والأمومة، فهي الأم والأخت والحبيبة، وبهذه الصفات ذكرت في الشعر الجاهلي بأعذب الأوصاف وأرقها، وأنبل المعاني وأكرمها، بل خضع لمزاج الشاعر وتناقضاته، فإذا به يصورها على الحالة التي يكون عليها لحظة قول الشعر، مستسلما للمناسبة، والموقف، والعاطفة الراهنة.

[1]– الخنساء: الديوان، ص. 486.

[2]– أبو أوفى: كنية صخر.

[3]– الخنساء: الديوان، ص. 488، 489.

غرض الغزل وموضوعة المرأة

لقد تصدرت المرأة أغراض الشعر العربي، وكان حضورها لافتا لا يكاد يخلو منه ديوان، فإن لم يكن لها القصائد الكاملة حال قصائد الغزل، فقد تشارك أغراضا أخرى مثل غرض الوصف خاصة وصف الطبيعة الحية، ووصف مغامرات الصيد والترفيه، حيث تكون المرأة جزءا معتبرا من التوصيف أو التصوير، سواء في المضمون والموضوع أو في التمثيل والتخييل.

ولقد تصدرت المرأة مطلع كل قصيدة، وحضرت في مستهلّ أشعارهم وقصائدهم، لتصبح ركنا أساسيا من أركان المقدمة الطللية، ويصبح تذكّر الحبيبة وأطلال الحبيبة تقليدا راتبا وسنة متّبعة في بناء القصيدة العربية القديمة.

وسوف نبدأ بأهم غرض شعري يتناول موضوعة المرأة، ألا وهو الغزل، هذا الفن الشعري العريق، عرفه أهل الجاهلية منذ بداية عهدهم بالشعر، وقدموه في أشعارهم في أجل ثوب، وأبهى صياغة، حيث يتميز أسلوب الغزل بجماله وسلاسته، وعذوبة ألفاظه ومعانيه، "ولا شك أن المرأة والجمال يقترنان، في كلّ عصر وفي كل مجتمع، اقتران الشيء ونتيجته؛ فقد كان الرجل – ولا يزال – يبحث عن الجمال والحسن في المرأة."

والوقوف على قصائد الغزل في النصوص القديمة، يدرك أن الشاعر الجاهلي قد استخدم لغة خاصة، مخالفة للغة أغراضه الشعرية الأخرى، وكأنّ الذي كتب قصيدة الغزل لم يكن ذلك الذي كتب قصيدة المدح أو قصيدة الرثاء على الرغم من شدة التقارب بين الغزل والمدح، حين يكون الغزل في النساء – في حقيقته – هو مدح للنساء، كما أنّ المدح في الرجال هو أشبه بالغزل في الرجال، بغض النظر عن المعاني المخصوصة التي لا تتجاوز فيه الكلام عن المرأة ما يرتبط بالمعاني التي يحتكرها الرجال.

لقد مثّلت لغة الغزل مدونة مرنة بحقلها المعجمي، وأبعاده الدلالية، وشكل الأسلوب فيه صناعة فنية واضحة المعالم في فن الوصف والتصوير، وكأنّ الشاعر القديم كان يكرس شعره لاصطياد أرقى التشبيهات والاستعارات التي ينتزعها من بيئته، وواقعه، ومشاهداته اليومية، وما يعلق في ذاكرة من أوصاف بديعة قاله شعراء يسبقونه، وشعراء يعاصرونه، حيث تتكتّل مخيلة الشعراء لاصطناع (أنموذج) أو (مثال) لصورة المرأة، بحيث يغدو تمثالا منحوت بدقة متناهية، يستلهم منه الشعراء أوصاف غزله أو

مدحهم للمرأة، "مصورين امرأة واحدة ذات جمال أنثوي مثالي، حيث لم تختلف أوصافها بين جميع الشعراء إلا في التفاصيل الصغيرة".[1]

ولقد تفاوت الشعراء في تحديد موضوع الجمال عند المرأة، وبالتالي فقد تعدّدت زاويا النظر إلى هذا التمثال الأنثوي، باعتبار ما يميل إليه الشاعر كاختيار شخصي ذاتي لجوهر الجمال في المرأة، يتراوح بين المرأة الجسد والمادة، والمرأة الإنسان والروح.

ولعل النزعة الحسيّة التي تغلب على الشاعر العربي، قد تقدم نظرته المادية للمرأة على النظرة المعنوية، فينظر إلى الجمال الأنثوي في أناقة الجسم وانسيابيته، وتناسق الوجه وروعته، ولون البشرة، فيتعرّض إلى السمراء، والشقراء، والبيضاء، وربما السوداء. أما من انصرف إلى وصف المرأة المعنوية فيتناولها في بعدها الإنساني، ويصورها التصوير العفيف، المنزّه عن عن الشوائب المادية، التناول المادي الحسي، مثل الذي سلكه الشعراء العذريون.

ولأجل القبض على أوصاف المرأة (الأنموذج) عند الشعراء الجاهليين، نستعرض بعض شواهد لندرك بعض منطلقاتهم في وصف المرأة.

الوجه: أحب الشعراء العرب في الجاهليّة الوجه الصافي النقيّ، الذي فيه بياض تشوبه سمرة قليلة أو بياض مائل إلى السمرة، ومن أمثلته، قول زهير بن أبي سلمى[2]:

فأمّا ما فويق العقد منها فمن أدماء مرتعها الكلاء[3]

وأمّا المقلتان فمن مهاة وللدرّ الملاحة والصفاء[4]

أو قول الأعشى:

ظبية من ظباء وجرة ادماء تسف الكباث تحت الهدال[5]

---

[1] فالح الكلابي، الاثنين 2022/05/30 03:45م، مواطن جمال المرأة في الشعر الجاهلي، 2024/03/20، صحافة نت، موقع حيروت الإخباري، https.// hayrout.com

[2] نفسه.

[3] أدماء: الأدمة تعني السمرة، والأديم هو ظاهر الأرض.

[4] المها: البقر الوحشي، الدرّ: اللؤلؤ، الملاحة : حسن الوجه، والصفاء : الخالي من أي اثر أي الناعم.

[5] سفّ الدواء: تناوله،الكباث: ثمر شجر الأرك، الهدال: نبات طفيلي يتعلق بالأشجار.

ذلك أنّ العرب أحبّت اللون الأبيض الذي يخالط بياضه شيء من الصفرة، فيخرج لون يسمونه (الأزهر)، وقد مدح امرؤ القيس هذا اللون في معلقته في قوله[1]:

كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلّل[2]

وبيضةِ خِدْرٍ لا يُرامُ خِباؤُها تمتّعْتُ، من لهوٍ، بها: غيرَ مُعْجِلِ

وفي الوجه أيضا أحب الشعراء العرب ذات الخد الأسيل الأملس الناعم المشرق.

الثغر: وصف امرؤ القيس الفم، فقال[3]:

بثغر كمثل الأقحوان منورّ نقي الثنايا أشنب غير أثعل[4]

وفيه، أحبّ الشعراء العرب الأسنان البيضاء، واصطفاف شكلها، ولونها لون اللامع البرّاق المنوّر.

الشفاه: وأبرز صفة فيها: أن يكون بها بعض الضخامة، وأن تكون شديدة الحمرة كالرمل الخالص، أو يكون بها لمى، وهو سواد يخالط الشفاء، ومنه سميت الفتاة لمى، ولمياء. ومن أمثلتها، قول طرفة بن العبد[5]:

وتبسم عن ألمى كأنّ منوّرا تخلّل حرّ الرمل دعص له ندي[6]

الأنف: فقد أحب العربيّ من الأنف ما كان أقني دائماً، أي مرتفعاً وسط القصبة فيه ضيق في المنخرين مع استقامة فيه. مثاله، قول الشاعر معن بن أوس[7]:

وأقنى كحدّ السيف يشرب قبلها[8]

---

[1] نفسه.

[2] البكر: الفذّ الذي لم يسبق بمثله وتعني البنت الباكرة التي لم تتزوج ولم يقربها رجل، المقاناة: الخلط، النمير: الماء الصافي، المحلل: الماء الذي ينزل بقربه أقوام كثيرون فيصبح عكرا.

[3] نفسه.

[4] الأقحوان: نبات بريّ بتلاته بيض تشبه الأسنان وقلبه أصفر،منوّر :مزهر، أشنب: أبيض، أثعل: متراكب بعضه فوق بعض.

[5] نفسه.

[6] ألمى : فم ذو شفتين سمراوين، تخلل حر الرمل : أسنانها نابتة في لثة حمراء صافية، الدعص : الجانب المكور من الرمل، أمّا الشفاه فقد وصفت باللعس (الميل إلى السمرة) وسميت البنت التي في شفافها سعة، لمياء: كونها يخالطها سمار خفيف.

[7] نفسه.

[8] الأقنى: الذي يشبه القناة أو الرمح في الاستقامة.

الشعر الطويل:لقد أحبّت العرب المرأة الطويلة الشعر، وأحبّت فيه الأسود الفاحم أو الحالك كالليل المظلم، فطول شعر المرأة وشدّة اسوداده أو ميله للسواد من أبرز عناصر الجمال في المرأة الجاهليّة. يقول امرؤ القيس:

غدائرها مستشزرات إلى العلى تضّل العِقاص في مثنى ومرسل[1]

وقال أيضا:

وفرع يزين المتن أسود فاحما أثيث كقنو النخلة المتعثكل[2]

ولعل من الأوصاف الأخرى التي أراده الشعراء في الشَّعر أن يكون سبطا متموّجا، أي مسترسلا من غير تجعّد، وربّما كانت المرأة العربية ترسل بعض الضفائر في مقدّمة رأسها بعد حلّها من عقدها لكي يظهر شعرها متوجا من أثر الضفر، مما يزيدها جمالا. وربما أخرجت المرأة من مقدمة ناصيتها بعض الغدائر، فتبدو كالقرون، وفي ذلك يقول الشاعر سويد بن أبي كاهل اليشكريّ:

(..... وقرونا سابقا أطرافها).

وقد استحسن امرؤ القيس كثافة هذه القرون حتّى شبّه بها شعر فرسه[3]، حيث قال:

(لها غدر كقرون النساء).[4]

العيون: أحب الشعراء العرب العيون الواسعة التي بها حور، والحور هو: اتّساع حدقة العين، وشدة سوادها مع نصاعة بياضها، وهو – بذلك –يشبهون عيون المرأة بعيون البقرة الوحشية (المها)، ومن أمثلتها، قول امرؤ القيس[5]:

تصدّ وتبدي عن أسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مُطْفِلِ[1]

[1]الغديرة: الخصلة من الشعر أو هي الجديلة، مستشزرة : مفتولة أي ملفوفة على بعضها، العِقصة (بالكسر): العقدة في الشعر، المثنّى: الشعر المطوي بعضه على بعض، المرسل: الشعر المنسدل أو الشعر المنسرح.

[2]الفرع: الشعر، المتن: أعلى الظهر، أثيث: كثيف، القنو: العذق الجاف الذي جرّد من تمره،المتعثكل: الذي يبرز منه أشياء كأنّها تتحرّك في الهواء ويمثلها بعثق النخلة.

[3] فالح الكلابي، الاثنين 2022/05/30، 03:45م، مواطن جمال المرأة في الشعر الجاهلي، 2024/03/20، صحافة نت، موقع حيروت الإخباري، https.// hayrout.com.

[4]والغدر أو الغدائر أي الضفائر مفردها غديرة أو ظفيرة، أو قرون النساء: ظفائرها أو غدائرها.

[5] نفسه.

الخد: وفيه يقول المرقش الأكبر: (عمرو بن سعد)

ورَبُ أسِيلَة الخَدَيْن بِكْرٍ مُنعَمَةٍ لها فَرْعٌ وَجِيدٌ[2]

حيث الخد الأسيل دلالة على لين ملمسه، ونعومته، مما يوحي بالترف والنعمة[3]

ويقول طرفة بن العبد[4]:

أَرَتْكَ بِذَاتِ الضَالِ منها معَاصِمَا وَخَدًا أَسِيلًا كالوَذِيلَةِ ناعِما[5]

حيث يشبه خد حبيبته الأسيل بالوذيلة، وهي مرآة الفضة.

البدانة: تتمثل في المرأة الطويلة الفارعة المكتنزة الجسم، ومن مواصفات هذه البدانة: أن تكون جميلة (والجمال هو الشحم المتجمع) غير مثقلة بالسمنة، كما يريدونها ثقيلة الأرداف والعجز نحيلة الخصر، ومن أمثلتها قول عمرو بن كلثوم[6]:

في معلق سمنت وطالت ردافها تنوء بما ولينا[7]

وقول المراد بن منقذ العدوي:

قطف المشي قريبات الخطى بدّنا مثل الغمام المزمخر[8]

---

[1] تصدّ: تنفر، تدير وجهها فيبدو خدّها أسيلا، وتتّقي: تحذر الوحش: أي البقر الوحشي، وجرة: اسم مكان، مطفل: لها طفل إذا كانت الظبية مطفلا كانت أشدّ شراسة في دفع الذين يقتربون من أولادها.

[2] المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، المفضليات، تح أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط06، 1942م، ص 224.

[3] راضية بوعقال، سبتمبر 2017، تعدد النظرة للمرأة عند الشعراء قبل الأعشى وفي زمانه، مجلة آفاق للعلوم، جامعة أم البواقي، ع 09، ص94/93، بتصرف.

[4] المفضليات، ص 245.

[5] المعصم: موضع السوار، الوذيلة: مرآة الفضة.

[6] نفسه.

[7] أي سمينة طويلة الأرداف ثقيلتها.

[8] القطوف : البطيء أو البطيئة في السير أي تمشي على مهلها دلالا وتغنجا خطواتها قريبة من الأخرى،البادنة : السمينة ذات اللحم المكتنز الملفوف وليست المترهلة، المزمخر: الكثير الصوت مثل الرعد ويكون عادة كثيفا ثقيلا بطيئا.

اليدان: فقد اختلف الشعراء في جمال اليد بدءا من المعصم وانتهاء بالأصابع، وبما أنّ الوشم كان الصفة المتبعة – أنذاك – فقد وجد بعض الشعراء أنّ اليد الخالية من الوشم هي الأجمل، ومن أمثلتها، قول الشاعر عبيد بن الأبرص[1]:

وإنّها كمهاة الجوّ ناعمة تدني النصيف بكفّ غير موشوم[2]

فقد نظر الشاعر العربي إلى هذه الأوصاف الجسدية في تناسقها معتبرا حركة المرأة ومشيها عنصرا من عناصر الفتنة والإغراء، بخلاف السكون الذي ربما يقلل الإثارة ويحدد مفاتن الجسد عندها، لذا جاء الشعر الجاهلي ممجّدا للحركة في الأنثى، فشبّهوها بغصن البان، وبالبقرة الوحشية (المها)، وخطاها بخطى القطا[3].

هذه بعض الصفات التي وجدت في شعر الغزل عند الجاهليين، والتي أحبّها الرجل في المرأة في ذلك العصر. ولا تزال هذه الصفات محبوبة، تزاحم أوصافا أحبّتها المرأة في نفسها، فأرادت أن تحبّبها في الرجل اليوم، وفق موضة عصرها، أو حسب الأمزجة والأهواء النفسية التي ترافقها.

المرأة في الواقع الشعري الإسلامي

لا شك أن الجانب الأدبي قد يعكس بصدق وأمانة هذا الواقع الجديد، الذي انتقلت إليه العرب مع دعوة الإسلام وتحوّل العرب من حياة الشرك والكفر إلى حياة الايمان والاعتقاد الصحيح. وربما كان الأدب أحسن مثال لهذه التحولات الفكرية والاجتماعية، من خلال ما ينظمه الشعراء وما ينثره الخطباء أيضا، وبدون شكّ، سيتأثر الشعراء بهذه الحياة الإسلامية الجديدة، وسوف يعيشون تحولاتها وانقلاباتها.

صورة المرأة في العهد الإسلامي

في هذه المرحلة، سوف يبرز دور الشعراء المخضرمين، وقد عاشوا المرحلة الجاهلية وشهدوا هذه المرحلة الإسلامية، بحيث يمكن لدارس أشعارهم أن ينتزع منها شهادات وحقائق تعكس نظرة هؤلاء المخضرمين للحياة الجديدة، وصراعهم بين حياة سابقة صنعت شخصيتهم ومجدهم الفني، وبين واقع

[1] نفسه.

[2] النصيف: الغطاء.

[3] نفسه.

راهن ألزمهم – بحكم اعتقادهم الديني الجديد، وتطبيقهم لما شرّعه الله للناس، حتى يتميزوا بشخصيتهم الجديدة، في كنف الإسلام، عن شخصيتهم القديمة المتأصّلة فيهم.

ولا بد أن يكون الشعراء المخضرمون قد تأثروا – ولكن بتفاوت – بهذا الواقع الجديد في ظلّ الإسلام، وحاولوا قياسه بعالمهم السابق، خاصة ما ارتبط بحياتهم العاطفية، وميولهم الذاتية، التي كانت فيه المرأة المحرك الرئيسي، والدافع الأساسي. "فالمرأة لم تعد ذلك المخلوق الذي يثير العواطف والغرائز عند الرجال فقط، بل أصبحت كائناً يبحث عن موقع له في حركة التغيير الكبرى التي تشهدها جزيرة العرب"[1]، وهي في الإسلام إنسانٌ له صفاته الواقعية التي قد يتجاوز خيال الشاعر فيها بعض التجاوز، لكنها تظل غير مجانبة للحقيقة، بل قد تظل المرأة حاضرة بأنوثتها في شعر الجاهلية وصدر الإسلام، ويظل الشعراء مفتونين بها؛ كون الشاعر يتوجّه إلى عالم الخيال الممكن أكثر من اتجاهه للواقع الكائن.

وعلى الرغم من ذلك، فإنّنا نجد من الشعراء من حمل موقفا حازما من المرأة، أو من في جانب من شخصية المرأة، التي قد تثير لديه بعض أنواع التذمّر، أو السخط، فيترك أثرا في نفسه، نجد مظاهره الفنيّة في شعره، وهو يتناول المرأة – عموما – أو يتناول نماذج من شخصيتها كالحبيبة المستهترة، والجارية اللعوب، والأخت المتذمرة، والزوجة اللجوج، أو نساء أخريات لم يجد عندهن الصباحة والجمال، أو التودّد والتعاطف.

ولقد ظل تأثير المرأة الجاهلية، في وعي الشعراء المخضرمين قوياً، فلم يستطيعوا التخلّص من ذلك التأثير القديم، يتجلى ذلك في مقدمات الغزلية، التي ظلت تتصدر قصائد الطوال، ولعلّ من القصائد التي قيلت في حضرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – من التزم أصحابها هذا الخط الفني (خطاب المرأة في مستهلّ القصيدة)، دون أن يجدوا في ذلك حرجا، من أمثال حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، الذين كانوا يذكرون المرأة في أشعارهم، في حضرته – صلى الله عليه وسلم – ومثلهم كعب بن زهير، صاحب (بانت سعاد)، القصيدة المعروفة بـ "البردة". ولم نعرف أن الرسول نهى شعراءه، عن تلك المقدمات الغزلية، وإن نهى الشعراء عن الشعر الذي ينافي الخُلُق والدين[2]

[1]– علي اللافي جولق: مكانة المرأة في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، ص. 08. ينظر الرابط: https://zu.edu.ly/uploadfiles

[2] – علي اللافي جولق: مكانة المرأة في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، ص. 04.

ومن تلك المقدمات مطلع لامية كعب بن زهير التي يستفتحها بالغزل:[1]

بَانَت سُعادُ فقَلبِيَ اليَوم متْبُول مُتَيمُ إثْرَها لم يَفْدَ مكبول[2]

ومنها، قوله يمدح الرسول – صلى الله عليه وسلّم –:

إنَ الرَسولَ لَسَيفٌ يستضاء به مُهندٌ من سيوف الله مسلول[3]

كما نجد حسان بن ثابت يستفتح – أيضا – بذكر المرأة:[4]

أَشَاقَكَ مِن أُمِ الوَلِيدِ رُبُوعُ بَلاَقِعُ مَا مِنْ أَهْلِهِنَ جَمِيعُ[5]

وقد قال قصيدته يوم أحد، في يوم استشهد فيه عدد كبير من الصحابة، ولم يتحرج حسان أن يتحدث عن المرأة في موقف حزن؛ كون النسيب والغزل من لوازم مقدمات الشعر في الشعر القديم، والتي لم تمنع في الشعر الإسلامي.

بل نجد في فترة صدر الإسلام، شعراء عاصروا عهد النبوّة وعاصروا الخلافة الراشدة، وعاشوا بعض فترة عصر بني أميّة، من خصص شعره في الحديث عن النساء، والتغزّل بها، أو عبر عن تجربته العاطفية بجرأة، مثل عمر بن أبي ربيعة، والشعراء العذريين

لقد بدت الصورة العامة للمرأة عند شعراء صدر الإسلام شديدة القرب من صورتها عند شعراء العصر الجاهلي، فأكثر هؤلاء مخضرمون شهدوا الجاهلية والإسلام، وأكثرهم قال الشعر في العصر الجاهلي، فضلاً عن أن الأغلبية كانوا من شعراء البدو البعيدين عن مركز الدين في المدينة ولم يتأثروا بالإسلام التأثر الذي انعكس في شعرهم بصورة عميقة.

ويتصل نموذج المرأة بتجربة الحب عند الشاعر العربي اتصالاً وثيقاً، فالشاعر يصف لوعة الفراق، وأثر الهجر أو حرقة الهوى، ويقرن ذلك بوصفه لجمال تلك المحبوبة التي تركت في نفسه أثرا بعيداً.

---

[1] – كعب بن زهير: الديوان، رواية الإمام أبو سعيد السكري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط01، 1950م، ص06/ 23.

[2] – بانت: فارقت، متبول: أصيب بتَبْلٍ أي تبلت قلبي، ومتيم: مضلل وهو التذلل (ذلّه الحب)، ومكبول: محتبس عندها، والكبل: القَيْد، يقال: مكَلَب ومكَبل بمعنى واحد، ولم يجز: من الجزاء، يقول: ما أثابَتْني.

[3] – الهاء التي في (به) راجعة على النبي صلى الله عليه وسلم، المهند: السيف المطبوع من حديد، الهند : وسيوف الهند أفضل السيوف.

[4] – حسان بن ثابت: الديوان، شرح: عبدا مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 1994م، ص 157.

[5]– الربوع: منازل القوم، والمنازل البلقع: المقفرة، وجميع: مجتمعون.

وإذا أردنا أن نقف على صورة المرأة في الشعر الإسلامي، نجد أنّ شعراءه من المخضرمين يقيمون صورهم على (مثال)، أو (أنموذج) استجمعوا عناصره الوصفية أو التصويرية من نماذج شعرية توارثوها عن الشعراء السابقين، من أمثال امرئ القيس والأعشى، ومن السهولة أن نجمع عناصر هذا "التمثال للأنثى" بالعودة إلى "المعلقات" وحضور المرأة في مقدمات قصائدها الطلليّة، إذ لم يكن مطلوبا من الشاعر المتأخّر إلاّ الاحتذاء والتقليد، وفق شروط تناصية لا يخرج فيها عن (الأنموذج)، فإن وقع الجديد، فلا يقع إلاّ في حدود جزئيات صغيرة لا تكاد تغطي على الأصل؛ مثاله في ذلك مثال الرسام المقلّد، الذي يتصرّف في درجات اللون بحسب شعوره الخاص وانطباعه الذاتي، دون أن يتجاوز أساسيات اللون في اللوحة.

لقد تحدّثوا عن جمال جسم المرأة وبضاضته، وجمال العيون، والوجه، والشعر، والفم، والأطراف.. فلم يختلفوا عما قاله الشعراء. "ولم يختلف تأثير المرأة عند شعراء صدر الإسلام عن تأثيرها عند شعراء العصر الجاهلي، فعين الشعراء موجهة في المقام الأول إلى عالم الشعر يستمدون منه نماذجهم الجمالية"[1]

[1] – علي اللافي جولق، مكانة المرأة في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، ص05.

المبحث الثاني: واقع المرأة في شعر ابن مقبل

ابن مقبل (حياته وشعره)

اسمه ونسبه وكنيته:

هو: تميم بن أُبَيّ بن مُقبلِ، بن عَوْفٍ، بن حَنِيفٍ، بن قتيبة، بن العجلان، بن عبد الله[1].

وعجلان قومه الأقربون، ولا خلاف في ذلك، لكن الخلاف نجده في نسبته إلى أبيهأُبيّ (بالتصغير)، فيقال: (تميم بن أبيّ)، وأحيانا، ينسب إلى جدّه مقبل، فيقال: (**تميم بن مقبل**).

أما كنيته، فكان يلقب أبا كعب، وأبا الحُرَّة، لكنّه اشتهر بكنيته الأولى؛ حيث كنّي، في أكثر المصادر بـ "أبي كعب"[2]. أما كنيته بـ "أبي الحرّة"، فقد وردت عند ابن دريد في "الاشتقاق"، فقال: "قال تميم بن أبيّ بن مقبل، ويكنّى: "أبا الحرّة"[3].

ولم يصرح ابن مقبل في شعره الذي وصل إلينا بهذه الكنية أو تلك، ولكن كان يذكر اسم ابنته (الحرّة)في شعره. فقد وردت في مستهل قصيدة طويلة، يشكو إليها الشيب، والكبر، وصروف الدهر، وذهاب أيام شبابه،كقوله[4]:

يَا حُرَّ، أَمْسَيْتُ شَيْخاً قَدْ وَهَى بَصَرِي وَالْتَاثَ مَا دُونَ يَوْمِ الوَعْدِ مِنْ عُمُري[5]

يَا حُرَّ، مَنْ يَعْتَذِرْ مِنْ أَنْ يُلِمَّ بِـــهِرَيْبُ الزَّمَانِ فَإِنِي غَيْرُ مُـــــعْتَذِرِ[6]

يَا حُرَّ، أَمْسى سَوادُ الرَّأْسِ خَـــالَطَ هُشَيْبَ القَذالِ اخْتِلاَطَ الصفوِ بِالـْكَدَرِ[7]

يَا حُرَّ، أَمْسَتْ تَلِيَّاتُ الصِّبَا ذَهَـــبتْ فَلَسْتُ مِنْهَا عــــلَى عَـــيْنٍ ولاَ أَثَرِ[8]

---

[1] محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني للنشر، جدة، ج02، ص143.

[2] أبو الفضل العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج01، ص496.

[3] أبو بكر محمد بن دريد، الاشتقاق، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط01، 1991م، ص12.

[4] تميم بن أبي بن مقبل، ديوانه، تح: عزة حسن، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1962م، ص72.

[5] التاث: أي اختلط، ويوم الوعد: يريد به يوم القيامة، وحر: ترخيم حرة.

[6] يلم به: يأتيه ويصيبه، ريب الزمان: حوادثه.

[7] القذال : جمع مؤخر الرأس إلى قصاص الشعر.

[8] التليات : جمع تلية و هي البقية لأنها تتلو ما تقدم منها، الصبا: النزوع إلى اللهو والغزل ها هنا.

فالحرّة، التي ذكرت في هذه الأبيات، ترجّح أنّها إحدى بناته[1]، ولا سيما أنّأبيات هذه القصيدة تكاد تخلو من الغزل الذي ألفناه عند شاعرنا، كما يشير إلى أنّه يتحدّث إلى ابنته، لا إلى امرأة أخرى؛ يشكو إليها ما آلت إليه حاله[2].

زوجاته:

وإذا انتقلنا إلى حياته الزوجية، وجب أن نتساءل هل تزوج ابن مقبل وأنجب أولادا؟ ولكن من الأخبار التي وردت في هذا الجانب من حياته نادرة جدا، ولا تكفي لإعطاء صورة واضحة أو قريبة من الوضوح حول أزواجه أو أولاده، ومن الأخبار التي وصلت إلينا، ووجدنا صدى لها في شعره عن زوجاته، أمكننا أن نتعرّف على اثنتين منهما: "الدهماء"، و"سلمى".

وقد ورد ذكر "الدهماء" في شعر ابن مقبل عدة مرات، كما أورد ابن حبيب في "المحبّر" خبر طلاقها منه، في حديثه عن العادات التي سنتها الجاهلية، وقضى عليها الإسلام فقال: "كان الرجل إذا مات، قام أكبر ولده، فألقى ثوبه على امرأة أبيه (أي ضرّة أمه)، فورث نكاحها، فإن لم يكن له حاجة فيها، تزوجها بعض إخوته بمهر جديد، وقد فرّق الإسلام بين رجالٍ، وبين نساء آبائهم، وهم كثير، ومنهم: تميم بن أبيّ بن مقبل، وكانت تحته "دهماء"؛ امرأة أبيه، ففرّق بينهما الإسلام[3].

ويظهر–من خلال شعره– أنّه قضى معها وقتا طويلا، مفتونا بحبها، مغمورا بلطفها وحنانها، فظلّ يذكرها في شعره، ويحنّ إليها، ويشتاق إلى أيّامها بعد أن فرّق بينهما الإسلام، وكان ذلك في شيخوخته، فنسمعه، في شعره، يذكر حادثة التفريق، وما للدهماء من منزلة عظيمة في نفسه[4]:

أَنـاظِرُ الوَصْـلُ، أَمْ غادٍ فَــمَصْرُومُ أَمْ كُـلُّ دَيْنِكَ مِنْ دَهْمَاءَ مَـغْرُومُ[5]

أَمْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ دَهْمَاءَ، إِذْ طَــلَعَتْ نَجْدَيْ مَرِيعٍ، وقَدْ شَابَ المَقَادِيمُ[6]

هَلْ عَاشِقٌ نَالَ مِنْ دَهْمَاءَ حَاجَتَهُ في الجَاهِلِيَّة، قَبْلَ الدِّينِ مَـرْحُوم

---

[1] وكذلك رجح محقق ديوان ابن مقبل، من أن الحرة هي إحدى بناته. ينظر: عامر مسعود: تميم بن أُبيّ بن مقبل (حياته وشعره)، المقدمة، ص: 7.

[2]– عامر مسعود: تميم بن أُبيّ بن مقبل (حياته وشعره)، ص 90.

[3]أبو جعفر بن حبيب، المحبر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت (د.ت)، ص: 326/325.

[4] ابن مقبل، ديوانه، ص267/266.

[5] ناظر: منتظر، وغاد: ذاهب، مصروم : مقطوع، مغروم: أي غير مقضي.

[6] نجدى مريع : اسم موضع . المقاديم من الوجه : ما استقبلك منه ، من الناصية و الجبهة.

ولقد تردّد في شعره طائفة من أسماء النساء، ولا يعني – بالضرورة – أنّ ابن مقبل قد عرفهن؛ فظاهرة ذكر أسماء النساء في الشعر الجاهلي ظاهرة عامة لا يخلو منها ديوان، إذ قد يذكر الشاعر عدّة أسماء لامرأة واحدة، وقد تكون هذه المرأة من نسج خياله، وقد يقصد امرأة بعينها، ولكنه لا يصرح باسمها الحقيقي، فيكنى عنها بأسماء أخرى، وذلك بتأثير تقاليد المجتمع الذي يعيش فيه،وهذه الأسماء التي ذكرها في شعره – إذا استثنينا منها الدهماء وكبشة، وسَلْمَى، نجدها تتفاوت بين أسماء مستعارة جيء بها على سبيل التكنية، أو وردت ضمن الأسماء الخيالية التي يتعامل بها الشعراء في قصائدهم[1].

وأمّا الأسماء التي كنى بها عن بعض زوجاته، وهي (الدهماء)، فيبدو أن الشاعر أحسّ بنوع من الغربة في المجتمع الإسلامي الجديد، الذي لم يألفه، خاصة في الأيام الأولى من دخوله في الإسلام، وصدمة التفريق بينه وبين الدهماء، بحكم زواجه الفاسد – شرعا – إضافة عن هذا،ذلك أنّ الإسلام حرم زواج (المقت)، بصريح نص الآية الكريمة ((**ولا تنكِحوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَان فَاحِشَةً وَمَقتَا وَسَاء سَبِيلًا**))[2] **[النساء: 21]**

ولقد كان بوسع شاعرنا أن يصرّح باسمها في شعره بعد أن افترقا، خاصة في عهد خلافة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –، الذي كان يأخذ ضعاف الدين بالقسوة حتى لا يعودوا إلى ما نهوا عنه؛ فتلك عادات جاهلية تتنافى مع الدين والأخلاق.

ولقد رأينا ابن مقبل يذكر زوجته، لكنّه لا يصرح باسمها،فيرمز إليها باسم "ليلى"،مشيرا إلى ما أحدثه الإسلام، من خلال كناية طريفة؛ أشار إليها ابن رشيـــق القيرواني (463هـ) حين قال: "ومن أنواع الإشارات الكنـاية والتمثيل، كما قال ابن مقبل: (وذكر البيتين).. فكنّى عمّا أحدثه الإسلام، ومثّل كما ترى"[3].

وابن مقبل – كما هو واضح من شعره وأخباره – قد قضى مدة من عمره مع زوجه "الدّهماء"، في حبّ ووئام، ولما أكره على طلاقها، بقيت صورتها في مخيلته، فلم يستطع التخلّص منها، وظلّ يذكر الأيام الخوالي التي قضاها معها، فهو تارة يذكر اسمها صراحة، إذا أمن على نفسه،وتارة، يكني باسم ليلى

[1] عامر مسعود: تميم بن أُبيّ بن مقبل (حياته وشعره)، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 1987، ص99.

[2]– مقتا : سببا للمقت و هو أشد البغض، ساء : بئس و يطلق على الذي يتزوج امرأة أبيه إذا طلقها أو مات عليها.

[3]ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محيي الدين، دار الجيل للنشر، ط05، 1981م، ص305.

أو باسم امرأة أخرى من النساء اللواتي ذكرهن في شعره، ومن هنا، فقد نرجّح أن اسم ليلى، التي ذكرت في شعره، هو كناية عن زوجه "الدهماء". [1]

أولاده:

أما أولاد ابن مقبل، فإنّنا الشاعر كان يكنى بـ "أبي الحرّة" تارة، و"أبي كعب" تارة أخرى. ولقد أورد البكري (487هـ) اسم ابنةٍ له تدعى "أم شريك"، فقال: "كذلك فسرت "أم شريك" بيت أبيها تميم بن أُبَيّ، بن مقبل"[2]، وقد تكون "أم شريك" هذه هي "الحرّة" نفسها، فالمصادر لم تذكر شيئا عنها إلا ما أورده (البكريّ) في كتابه، كذلك لم يذكرها ابن مقبل في شعره، وكلّ الذي وصل إلينا عن أبنائه، من خلال شعره وأخباره، "الحرّة" التي ذكرت عدة مرات في قصيدة طويلة[3]؛ يشكو إليها كبره، وما فعل المشيب به، أما "كعب"، و"أم شريك"، فلم نعثر على ذكر لهما في شعره.

وإذا بحثنا عن شعره في عائلته، فلا نجد في آل ابن مقبل من حمل راية الشعر من بعده، وكلّ ما نعرفه عن أبنائه: أنّ ابنته "أم شريك"، كانت من عالمات شعره؛ وكانت توضح ما كان غامضا من شعر والدها عند الرواة والعلماء[4]، وأم شريك – هذه – ربما كانت ابنته (الحرّة)، أو كنيتها

شعره:

لعل الباحث عن أخبار ابن مقبل في كتب التراجم، أو مصادر الأدب القديمة لا يجد ما يشكّل به صورة مكتملة لهذا الشاعر المخضرم، ممّا يستدعي اللجوء إلى ديوانه، الذي يشتمل على قصائد يمكن أن ينتزع منها ما يكمل أن يقدم إضافة لشخصه وشخصيته وواقعه الذي حرص على تسجيله، خاصة ما ارتبط بحياة البداوة، والعلاقات التي كانت بين قبائل جزيرة العرب، أو حياته الجديدة في ظل الإسلام.

لقد رأى دارسو حياة هذا الشاعر أن من أسباب شحّ المعلومة حول هذه الشخصية هو تعلقه بحياة البداوة، وانفصاله عن حياة المدينة، وعدم مشاركته – حين دخوله الإسلام – في الأحدث

[1] عامر مسعود: تميم بن أُبيّ بن مقبل (حياته وشعره)، ص104.

[2] أبو عبيد عبد الله البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، بيروت، ط03، 1303هـ،1: 230.

[3] ابن مقبل، ديوانه، ص72.

[4] أبو عبيد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، 1: ص131.

السياسية التي شهدتها الدولة الأموية، واكتفائه بالحياد والابتعاد عن أجواء الصراع السياسي ما لم يجد نفسه وقبيلته مجبرين على – بحكم العصبيات القبلية – فيها.

إلاّ أن المنقّب في أغراضه الشعرية ومناسبات نظم قصائده قد يوصله التنقيب إلى بعض المحطّات الهامة التي تمثل تحولات في حياته، ويتمثل ذلك في أمرين:

الأمر الأول: يرتبط بقلقه من شيخوخته حين غزا الشيب رأسه مبكرا، وحنينه إلى حياة الشباب،

الأمر الثاني: هو حياته الزوجية التي قضاه إلى جانب زوجة أبيه (دهماء)، وقد تزوّجها بعد موت أبيه، على عادة عرب الجاهلية الذي يورّثون تركة الأب بما فيها توريث زوجاته لأكبر أبنائه. ولما جاء الإسلام، أبطل هذا النوع من الزواج الجاهلي، وفرّق بين الشاعر وزوجه، فكان الحدث البارز الذي هزّ كيانه.

ولما كان ابن مقبل من الشعراء المخضرمين، الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، وقد قضى معظم حياته في بيئة بدوية لم يغادرها إلى حواضر الأمصار إلاّ قليلا، فجاء شعره – في مجمله – يحمل السمات الفنية للشعر الجاهلي عامة، والبدوي خاصة، ويتضح أثر البيئة البدوية في ألفاظه الغريبة، وفي معانيه الجافية، ولقد وصف بأنّه كان جافيا في الدين، يبكي أهل الجاهلية[1]. ولعلّ أكثر هذا البكاء ذهب في امرأته الدهماء، التي ورث نكاحها عن أبيه في الجاهلية، لأنّه ظلّ يذكرها بعد ما فرّق الإسلام بينهما[2].

أغراضه الشعرية:

من الأغراض الشعرية التي دأب عليها ابن مقبل غرض الفخر، وهو غرض ملازم لحياة البادية وصراع القبائل فيما بينهم، حيث تجلى فيه شدّة تعلقه بمفاخر قومه وفرط إحساسه بانتماء إليهم، الذي كانت تؤججه العصبية القبلية.

وأمّا المدح والهجاء، فقد كان قليلا في شعره، فلم يكن يتمدّح الناس أو يهجوهم، عن أنفة وترفع.

وأمّا الحكمة، فقد كان ابن مقبل يختم بعض قصائده بحكم يستخلصها من تجاربه الطويلة في الحياة.

[1] ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، 1: 150.

[2] عامر مسعود: تميم بن أُبيّ بن مقبل (حياته وشعره)، ص236.

غير أن الوصف كان الوصف أكثر شعر ابن مقبل، وقد حرص فيه الشاعر على تصوير البيئة الصحراوية لشدة ارتباطه بها؛ فعني في مطالع قصائده بوصف ديار الأحبة المقفرة التي تسْفِيها الرياح، ووصف المفازة والسحاب والمطر، وكلّ ما يرتبط بموضوعة الماء، كما أنّه تعرّض لوصف الناقة والجمل، والفرس، والثور الوحشي، وما إلى ذلك من حيوانات الصحراء وطيورها، وبرع في وصف القداح براعة صار من أجلها مثلا يضرب، وفخر بالمثل البدوية التي كانت في مجتمعه كلعب الميسر، وضرب القداح، وافتخر بصفاته الشخصية، كالكرم، وقرى الأضياف وقت الجدب، وشجاعته، وقوته، وقوة قومه، وكثرة عددهم[1].

ثمّ يأتي غزله، الذي كان يتقلب بين غزل فاتر الحرارة؛ تطلبته الصناعة الشعرية، خاصة ما ارتبط ببناء المقدمات الطللية، غير أنّ تجربته العاطفية مع زوجة أبيه (الدهماء)، التي تزوج منها بعد وفاة أبيه على عادة العرب في دخول زوجاته ضمن تركته الأبناء ويبدو أنّه كان متعلقا بها قبل موت أبيه، واشتدّ تعلقه بها بعد موته، فأكثر من ذكرها في شعره، ولما دخل الإسلام، حرم مثل هذا الزواج، وفرق بينهما، غير أنّه ظلّ متعلقا بها، يذكرها في شعره، ويتذكر حياته معها قبل إسلامه مكنّيا عنها بليلى.

[1] عامر مسعود: تميم بن أُبيّ بن مقبل (حياته وشعره)، ص236.

المرأة في شعر ابن مقبل الجاهلي

تمهيد:

يمنحنا ديوان ابن مقبل مادة معتبرة لموضوعة المرأة في حياته وشعره، حيث تتجلى لنا المرأة في صورة (الزوجة / المعشوقة)، مثل: (الدهماء – ليلى)، و(المرأة المدبّرة الناصحة)، مثل (كبشة – كبيشة)، و(المرأة / المستخفة)، المستهزئة بشيخوخته وعوره، مثل (سلمى – سليمى)، أو (البنت / الحنون)، التي يلجأ إليها الأب ليبثّها بعض شكواه، وتسمع إليه من خلال شعره، مثل (الحرّة – أم شريك). كما نجد (المرأة / الحِلْيَة الشعرية)، التي يذكرها في مطالع شعره، عند الوقوف على الأطلال، فتكون مرة من النساء المعروفات، كالدهماء وسلمى وكبيشة، والحرّة، ومرّة كنىً ورموز أو عرائس شعر[1]، من أمثال: زينب، والمازنية، وأم حاجز، وأم سهم..

موضوعة المرأة في شعر ابن مقبل:

إنّ مقابلة شعر ابن مقبل بلحظاته الزمنية (الماضي والحاضر والمستقبل)، يمنحنا جانبا من التأويل حين نحصي مناسبات القول عند الشاعر.

فالشاعر مخضرم، عاش جاهليته، وعاش بعضا من فترة الإسلام إلى ما بعد وفاة الخليفة الثاني سيدنا عثمان بن عثمان، ومعاصرته للفتنة التي تسبب فيه الصراع حول الخلافة، خاصة ما كان بين سيدنا علي ومعاوية بن أبي سفيان. وهو، من حيث الشعر، يفترض أنّه قال شعرا في جاهليته، وشعرا في إسلامه، وهذا الشعر – بالنسبة لابن مقبل – هو حاضره الذي يحياه، سواء قاله في الجاهلية أم قاله في الإسلام.

غير أنّ الكلام عن الماضي في شعر ابن مقبل، نجده في شعره الإسلامي، حين تحمله مشاعره إلى الكلام عن تلك الفترة التي حاول الإسلام غربلتها من انحرافات المعتقد الجاهلي الوثني، ومن القيم

[1] – ينظر: عبد الله الفَيفي، قلق الخضرمة بين الجاهلي والإسلامي، ص: 676.

الأخلاقية والسلوكية التي تتعارض مع ما جاء به الدين الحنيف، وهذا التحوّل الديني والفكري في جزيرة العرب، هو الذي تتوقف عليه شخصية ابن مقبل حين انقلب إلى الإسلام.

وربما يتجلى هذا الماضي (الجاهلي)، الذي يذكره الشاعر في حاضره (الإسلامي) في أمرين:

– **الأمر الأول**: تشبّث الشاعر بعصبيته القبلية، وأمجاد قومه، بدلالة أنّه بقي بدويا معتزلا الحياة الإسلامية الجديدة، فلم يندمج مع روح الإسلام، ولم يتشبّع بهذا الواقع الجديد، لذلك وصف ابن مقبل بالجفاء في الدين، وكأنّ إسلامه هو حتمية لا بد منها، ومجاملة للدين الذي فرض نفسه على كلّ جزيرة العرب.

– **الأمر الثاني**: تشبثه بحياته العاطفية القديمة، ممثلة في علاقته بـ "الدهماء"، التي كانت زوجته قبل إسلامه، فأجبر على طلاقها، باعتباره زواجا فاسدا يحرمه الإسلام، وقد ذكرنا من قبل قصة هذا الزواج.

ومن هنا، فقد كان استحضار الماضي في شعره قائما على استحضار هذين الواقعين: واقع القبيلة، وحبّه المقموع مع الدهماء[1].

ما ذكر من النساء في شعره

وقد وردت في ديوان ابن مقبل أسماء عدد من النساء، تعدّدت صلتهن بالشاعر بين ابنة، وزوجة، وعشيقة، أو اسم مصنوع في الشعر.

البنات:

عرف الشاعر بابنة واحدة، هي **"الحرّة"**، ومنها أخذ كنيته، فقيل: (أبا الحرّة)، وهي التي يخاطبها في قصيدته[2]:

يَا حُرَّ أَمْسَيْتُ شَيْخاً قَدْ وَهَى بَصَرِي وَالْتَاثَ مَا دُونَ يَوْمِ الوَعْدِ مِنْ عُمُرِي

لابن مقبل كنية أخرى، شاعت في أكثر المصادر التراثية، وهي "أبو كعب"[1]، أمّا كنيته بـ "أبي الحرّة"، فقد وردت عند ابن دريد في "الاشتقاق"، فقال: "قال تميم بن أبيّ بن مقبل، ويكنّى: أبا الحرّة"[2].

[1]– ينظر: عبد الله الفَيفي، قلق الخضرمة بين الجاهلي والإسلامي (دراسة تحليلية نقدية)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض – المملكة السعودية، ط.1، 1999، 537، 538.

[2] – ابن مقبل: ديوانه، ص82.

ولم يصرح ابن مقبل في شعره الذي وصل إلينا بهذه الكنية أو تلك، ولكن كان يذكر اسم ابنته (الحرّة)في شعره. فقد وردت في مستهل قصيدة طويلة، يشكو إليها الشيب، والكبر، وصروف الدهر، وذهاب أيام شبابه،كقوله[3]:

يَا حُرَّ، أَمْسَيْتُ شَيْخاً قَدْ وَهَى بَصَرِي وَالْتَاثَ مَا دُونَ يَوْمِ الوَعْدِ مِنْ عُمُرِي[4]

يَا حُرَّ، مَنْ يَعْتَذِرْ مِنْ أَنْ يُلِمَّ بِـــهِرَيْبُ الزَّمَانِ فَإِنِي غَيْرُ مُـــــعْتَذِرِ[5]

يَا حُرَّ، أَمْسى سَوادُ الرَّأْسِ خَـــالَطَهُشَيْبَ القَذالِ اخْتِلاَطَ الصفوِ بِالـْكَدَرِ[6]

يَا حُرَّ، أَمْسَتْ تَلِيَّاتُ الصِّبَا ذَهَـــبتْ فَلَسْتُ مِنْهَا عــلَى عَـــيْنٍ ولاَ أَثَرِ[7]

فالحرّة، التي ذكرت في هذه الأبيات، ترجّح أنّها إحدى بناته[8]، ولا سيما أنّأبيات هذه القصيدة تكاد تخلو من الغزل الذي ألفناه عند شاعرنا، كما يشير إلى أنّه يتحدّث إلى ابنته، لا إلى امرأة أخرى؛ يشكو إليها ما آلت إليه حاله.

الزوجات

كان ابن مقبل متعدّد الزوجات: ومن زوجاته:

1- "الدهماء": التي ننظر إليها من جانبين: جانب زوجة أبي الشاعر (ضرّة أمّه)، ثم جانب زوجة الشاعر ابن مقبل. فقد كان لها النصيب الأوفى من بين النساء اللواتي ذكرهن في شعره، وكان قد ذكر اسمها – صراحة وكناية – فصرح باسمها في نحو اثنتين وعشرين مرة[9]، وكنّى عنها في مرات كثيرة. ومن الأبيات التي ذكرها باسمها الصريح، قوله[10]:

---

[1] أبو الفضل العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج01، ص496.

[2] أبو بكر محمد بن دريد، الإشتقاق، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط01، 1991م، ص12.

[3] تميم بن أبي بن مقبل، ديوانه، تح: عزة حسن، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1962م، ص82.

[4] التاث: أي اختلط، ويوم الوعد: يريد به يوم القيامة، وحر: ترخيم حرة.

[5] يلم به: يأتيه ويصيبه، ريب الزمان: حوادثه.

[6]القذال : جمع مؤخر الرأس إلى قصاص الشعر.

[7] التليات : جمع تلية و هي البقية لأنها تتلو ما تقدم منها، الصبا: النزوع إلى اللهو والغزل ها هنا.

[8] وكذلك رجح – محقق ديوان ابن مقبل– أن الحرة هي إحدى بناته (المقدمة) 7.

[9] ابن مقبل، ديوانه،(44، 40، 41، 43، 49، 142، 181.....).

[10] – ابن مقبل: ديوانه، ص. 194.

أناظرُ الوَصلُ أمْ غادٍ فَمَصرُومُ أمْ كلُّ دَيْنِكَ مِن دَهماءَ مَغْرومُ

وقد ورد ذكر "الدهماء" في شعر ابن مقبل عدة مرات، كما أورد ابن حبيب، في كتابه "المحبّر" خبر طلاقها منه، في حديثه عن العادات التي سنتها الجاهلية، وقضى عليها الإسلام فقال: "كان الرجل إذا مات، قام أكبر ولده، فألقى ثوبه على امرأة أبيه (أي ضرّة أمه)، فورث نكاحها، فإن لم يكن له حاجة فيها، تزوجها بعض إخوته بمهر جديد، وقد فرّق الإسلام بين رجالٍ، وبين نساء آبائهم، وهم كثير، ومنهم: تميم بن أبيّ بن مقبل، وكانت تحته "دهماء"؛ امرأة أبيه، ففرّق بينهما الإسلام[1].

ويظهر–من خلال شعره– أنّه قضى معها وقتا طويلا، مفتونا بحبها، ومغمورا بلطفها وحنانها، ذكر ابن مقبل الدهماء. ولا نعرف من أيّ قبيلة كانت.فظل يذكرها في شعره، بما لها من منزلة عظيمة في نفسه، ويحنّ إليها ويشتاق بعد أن فرق بينهما الإسلام، وهو في شيخوخته، بوصف زواجهما زواجا فاسدا. فاسمعه يقول في هذا الإبعاد[2]:

أنِاظِرُ الوَصْلُ، أَمْ غادٍ فَمَصْرُومُ أَمْ كُلُّ دَيْنِكَ مِنْ دَهْمَاءَ مَغْرُومُ[3]

أَمْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ دَهْمَاءَ، إِذْ طَلَعَتْ نَجْدَيْ مَرِيعٍ، وقَدْ شَابَ المَقَادِيمُ[4]

هَلْ عَاشِقٌ نَالَ مِنْ دَهْمَاءَ حَاجَتَهُ في الجَاهِلِيَّة، قَبْلَ الدِّينِ مَرْحُومُ

1–1– ليلى: ذكر ابن مقبل هذا الاسم نحو ثماني مرات، ولعله كان يكني بها امرأته الدهماء، ومثل هذه الكناية عرفها شعرنا الجاهلي لأسباب تتصل بحياة المجتمع في ذلك الحين[5].

ولربما بدأت الكناية في شعره في صدر الإسلام، ولا سيما في عهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه، الذي نهى عن التشبيب، فعمد كثير من الشعراء إلى الكناية والرمز، وربما كان ابن مقبل واحدا منهم.

ومثال ذلك في شعره قوله[6]:

---

[1] أبو جعفر بن حبيب، المحبر، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1942م، ص325/326.

[2] ابن مقبل، ديوانه، ص266/267.

[3] ناظر: منتظر، وغاد: ذاهب، مصروم : مقطوع، مغروم: أي غير مقضي.

[4] نجدى مريع : اسم موضع . المقاديم من الوجه : ما استقبلك منه ، من الناصية و الجبهة.

[5] عبد الحفيظ السطلي، العجاج حياته ورجزه، مكتبة أطلس، دمشق، 1929م، ص237.

[6] – ابن مقبل: ديوانه، ص. 225.

طَافَ الخَيَالُ بِنَا رَكْباً يَمانينَا ودونَ ليلى عَوَادٍ لوْ تُعَدِّينا

منهُنَّ مَعروفُ آياتِ الكتابِ، وقدْ تعتادُ تكذِبُ ليلى ما تُمَنّينا

1-2- ذي الودْع: كنى به ابن مقبل عن الدهماء أيضا، ووردت في ديوانه مرة واحدة، في قوله[1]:

ولو كان حبّي، أمَّ ذي الودْع، كلّه لأهلك مالا، لم تسعه المسارح

2- كبشة: (أو كبيشة): وهي زوجته الثانية[2]، ذكرها مرارا في شعره، ومنها قوله:

يا دار كَبشة تلك لم تتغيَّر بجُنوبِ ذي خشُبٍ فحَزْمِ عَصَنْصَرِ

وكبشة أو كبيشة من قبيلة بني سليم، وكان للشاعر موقف مفاخر من قومها، حين فاخرهم بعزّة قومه ومنعتهم، وأن قوم زوجته من أذناب القبائل، فيقول[3]:

لفظتْ كبيشةُ قولَ شكّ كاذبٍ منها، وبعض القول غيرُ صوابِ

قومي، فهلاّ تسألين بعزّهم إذ كان قومك موضع الذناب

ولقد ذكر الشاعر (كبشة) أربع عشرة مرّة في ديوانه، وهو عدد ذكره زوجته الأولى (الدهماء)، فنجد اسمها في مستهلّ قصائده، وفي غزله ونسيبه، غير أنّ له قصيدة فريدة تخالف ما يجب أن تكون عليه الزوجة في عرف العرب، حيث إنّه حضر معها مجلس شرب ورقص في مكان اسمه "خبت طِحال"، فصور الشاعر ما جرى في تلك الليلة الراقصة[4]:

سَائِلْ بِكَبْشَةَ دَارِسَ الأَطْلاَلِ **قَدْ هَيَّجَتْكَ رسُومُهَا لِسُؤَالِ[5]**

والدَّارُ قَدْ تَدَعُ الحَزِينَ لِمَا بِهِ ويــُدِلُّ عَارِفُها بِغَيْرِ دَلاَلِ

لَيْتَ اللَّيَالِي، يَا كُبَيْشَةُ، لَمْ تَكُن **إلاَّ كَلَيْلَتِنَا بِخَبْتِ طحَالِ[6]**

في ليلة جرت النحوس بغيرها يبكي على أمثالها أمثالي

بتْنا بدَيّرةٍ، يُضيءُ وجــوهَنا دَسَمُ السَّلِيطِ عَلَى فَتِيلِ ذُبَالِ[1]

---

[1] ابن مقبل: ديوانه، ص. 50.

[2] – ابن مقبل: ديوانه، ص. 103.

[3]– ابن مقبل: ديوانه، ص: 523.

[4]– ابن مقبل، ديوانه، ص: 187

[5] –الرسوم : ما لطيء بالأرض من آثار الدار واحد ما رسم .

[6] –الخبت: ما اطمأن واتسع في بطون الأرض.

حتى انتَشَيْنا عندَ أَدْكَنَ مـتْرَعٍ جَحْلٍ، أُمِرَّ كُراعُهُ بـــــعِقالِ[2]

وإذا كان ابن مقبل قد قدم هذا المشهد الغريب، غير المعلّل لحضوره مع زوجته كبيشة في هذا الموقع الغريب (موقع الخمر والرقص)، فإنّه يقدم لها مشهدا مناقضا تماما، حين يشير إلى خوف زوجة من إتلاف زوجها للمال، فيظهرها في مظهر المرأة الحكيمة المدبرة لأمر خيمتها، وهي الصورة التي هي عليه المرأة المتزوجة في القبيلة، التي يعهد إليها الرجل تدبر أمر أطفالها، وخيمتها، وضيوف زوجها. يقول ابن مقبل[3]:

تقولُ: تَرَبَّحَ يغمُرِ المالُ أهلَهُ، كُبَيْشَةُ، والتقوى إلى الله أَربَحُ
ألمْ تعلمي أنْ لا يذُمُّ فُجاءَتي دَخيلي إذا اغْبَرَّ العِضَاهُ المُجَلَّحُ
وأَنْ لاَ أَلُومُ النَّفْسَ فِيمَا أَصَابنِي وأَنْ لاَ أَكَادُ بِالَّذِي نِلْتُ أَفْرَحُ
وما الدهرُ إلاَّ تارَتانِ، فمنهُما أموتُ، وأخرى أبتغي العيشَ أكدحُ
وكِلْتَاهُمَا قَدْ خُطَّ لي في صَحِيفتي فَلَلَعَيشُ أَشْهَى لي ، وللْمَوْتُ أرْوَحُ
إذَا مِتُّ فَانْعَيْنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ وذُمِّي الحَيَاة .كُلُّ عَيْشٍ مُتَرَّحُ

ولعلّ خوف كبيشة من إتلاف زوجها لماله سببه ما رأت عليه زوجها من كرم مبالغ فيه حين يقصده الضيوف أو ذوو الحاجة، فينفق إنفاق من لا يخاف الفقر، ولا يرجو من زوجته إلاّ أن تذكر به بعد موته، وتنعاه به إذا جاء أجله.

وممّا يلفت الانتباه في هذه الأبيات أن أثر الدين الإسلامي قد تجلّى واضحا، مما يدل أن هذه القصيدة من شعره الإسلامي، وفيه يظهر إيمان ابن مقبل بما كتبه الله عليه، وأنّ أجله ورزقه قد كتبه الله في صحيفته، وأن الدنيا – في حقيقتها – دار تعب ونصب وشقاء.

3– سلمى: (أو سليمى): وهي إحدى نسائه، تزوجها بعد إسلامه[4]. يقول فيها ابن مقبل:

---

[1] –الديرة من الرمل : كالدارة ، و هي رمل مستدير تحيط به جبال، و ربما قعدوا فيها وشربوا، السليط : الزيت، والذبال: جمع ذبالة و هي الفتيلة التي تسرج.

[2] أدكن : زق أدكن وهو الأغبر إلى السواد ، الجحل : الزق العظيم الضخم ، كراعه : رجله، لأن الزق يكون من جلد الماعز، العقال : الحبل الذي يربط به.

[3]– ابن مقبل: ديوانه، ص: 38، 39.

[4] – ابن مقبل: ديوانه، ص. 147.

عَفَا مِنْ سُلَيْمَى ذُو كُلافٍ فَمُنْكِفُ مَبَادِي الجَمِيعِ القَيْظُ والمتَصَيَّفُ

وسلمى أو (سليمى)، لم تذكر في شعره إلا ثلاث مرات، على الرغم من أنّها زوجته الثالثة، وربما كان هذا راجعا إلى أنّها لم تنل عنده حظ الدهماء، أو ربما يكون قد دخل عليها وهو كبير في السنّ – كما تقول الرواية– وقصة ابن مقبل مشهورة مع (بنتي عصر العقيلي).

فقد أورد ابن قتيبة خبر زواجه منها في كتابه، فذكر أنّ ابن مقبل كان خرج في بعض أسفاره، فمرّ بمنزل عَصرِ العقيلي، وقد أجهده العطش، فاستسقى، فخرج إليه ابنتا عصر بعسّ فيه لبن، فلما رأتاه أعوَرَكبيرا، أبدتا له بعض الجفوة، وذكرتا هرمه وعوره، فغضب، وجاز، ولم يشرب. وبلغ أباهما الخبر، فتبعه ليرده، فلم يرجع فقال له: ارجع ولك أعجبهما إليك، فرجع وقال قصيدة في هذه الحادثة[1]، منها قوله[2]:

قَالَتْ سُلَيْمَى بِبَطْنِ القَاعِ مِنْ سُرُحٍ: لاَ خَيْرَ فِي العَيْشِ بَعْدَ الشَّيْبِ والكِبَرِ[3]

واسْتَهْزَأَتْ تِرْبُهَا مِنِّي، فَقُلْتُ لها ماذا تعيبانِ منِّي يا بْنَتَيْ عَـــصَرِ؟[4]

لولا الحياءُ، ولولا الدِّينُ عِـــبْتُكُما بِبَعْضِ مَا فِيكُمَا إِذْ عِبْتُمَا عَـــوَرِي

ويتضح من هذه الأبيات أن تميم – كما جاء على لسانه – قد بلغ من العمر عتيّا، وعلى هذا، يكون قد تزوّج، وهو كبير في السن، وأنّ التي اختارها من بنات عصر العقيلي هي "سلمى"، وأنّ زمن زواجه منها كان بعد إسلامه؛ أي: بعد أن فرّقه الإسلام عن "الدهماء".

عرائس الشعر:

وهي نساء اختلف النقاد في امرهن، فتراوحن بين نساء حقيقيات، وأخر مختلقات.

النساء الحقيقيات:

1– المازنية: ذكرت مرة واحدة في الديوان[5].

للمازنيّةِ مُصْطافٌ ومُرْتَبَعُ مِمَّا رأتْ أُودُ فالمِقْراةُ فالجَرَعُ

[1] أبو محمد بن قتيبة، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 1423م، ص446/447.

[2] ابن مقبل، ديوانه، ص76.

[3] سرح : اسم موضع ، واد أو ماء ، القاع : الأرض الواسعة المطمئنة.

[4] الترب : المقارب في السن ، و أكثر ما يكون ذلك في المؤنث و يريد به – هاهنا – أختها .

[5] – ابن مقبل: ديوانه، ص. 123.

2– الجعفية (ابنة مالك): ذكرت مرة واحدة في الديوان[1]

عجبتْ لِي الجعفيّةُ ابنة مالك أنْ شاب اصداغي، وأقصر باطلي

3 – ابنة الرّحال: ذكرت مرة واحدة في الديوان[2]

وبَيَاضاً أحدثَتْهُ لِمَّتي مِثْلَ عِيدانِ الحَصَادِ المُنْحَصِمْ

يا ابْنةَ الرِّحَّالِ لوْ جارَيْتِني سَالِفَ الدَّهْرِ لجَارَيْتِ الرَّقِمْ

4– ابنة مكتوم: ذكرت مرة واحدة في الديوان[3]

عيثا بلبّ ابنة المكتوم، إذ لمعت بالراكبيْن على نعوان أن يقفا

5– أم خشرم: ذكرت مرة واحدة في الديوان[4]

خَلِيليَّ عُوجا حَيِّيَا أُمَّ خَشْرَمٍ ولاَ تَعْجَلاَنِي أَنْ أَقُولَ لَهَا اسْلَمِي

6 – أم بشر: ذكرت مرة واحدة في الديوان[5]

بَكَتْ أُمُّ بِشْرٍ أَنْ تَبَدَّدَ رَهْطُهَا وأَنْ أَصْبَحُوا مِنْهُمْ شَرِيدٌ وهَالِكُ

7– أم تميم: ذكرت مرة واحدة في الديوان:[6]

أأُمّ تميم، إنْ تريْني عدوّكم وبيتي، فقد أغنى الحبيب المصافيا

8– أم حاجز: ذكرت مرة واحدة في الديوان[7].

اَلْيَوْمَ بانَ الحَيُّ أَمْ وَاعَدُوا غَدَا؟ وقدْ كانَ حادِي البَيْنِ بالبَينِ أوْعَدا

تَيَمَّمْ خَبْتاً حَادِيا أُمّ حَاجِزٍ فَشَطَّا، وجارا عنْ هَواكَ فأبْعَدا

9 – أم سهم: ذكرت مرة واحدة في الديوان[8].

---

[1] – ابن مقبل: ديوانه، ص. 166.

[2] – ابن مقبل: ديوانه، ص. 281.

[3] – ابن مقبل: ديوانه، ص. 142.

[4] – ابن مقبل: ديوانه، ص. 203.

[5] – ابن مقبل: ديوانه، ص. 154.

[6] – ابن مقبل: ديوانه، ص. 287.

[7] – ابن مقبل: ديوانه، ص. 61.

[8] – ابن مقبل: ديوانه، ص. 63.

تزوّد ريّا أمّ سهم محلَّها فروعَ النّسار، فالبديّ، فثهمدا

10 – أم عاصم: ذكرت مرة واحدة في الديوان[1]

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ بِالجَنَاحِ عَرَفْتهَا إِذَا رَامَهَا سَيْلُ الحَوَالِبِ عَرَّدَا
كَأَنَّ خَصِيفَ الجَمْرِ في عَرَصَاتِهَا مَزَاحِفُ قَيْنَاتٍ تَجَاذَبْنَ إِثْمِدَا
أَأُسْوةَ بَاكٍ حَاوَلتْ أُمُّ عَاصِمٍ بِمَا حَدَّثتْني أَمْ أَرَادَتْ لأَكمَدَا

النساء المختلقات:

1– زينب: ذكرت مرة واحدة في الديوان[2].

طَرَقَتْكَ زَيْنَبُ بَعْدَمَا طال الكَرَى دُونَ الْمَدِينَةِ، غَيْرَ ذِي أصْحَابِ

2– عتيْبة: ذكرت مرة واحدة في الديوان[3]

دعَتْنا عُتَيْبَةُ مِن عالجٍ وقَدْ حَانَ مِنَّا رَحِيلٌ فشَالاَ

3– مَيَّة: ذكرت مرة واحدة في الديوان[4]

حَيِّ دارَ الحَيِّ لا دارَ بها بسِخالٍ فأَثالٍ فَحَرِمْ
هزِئَتْ مَيَّةُ أنْ ضاحكْتُها فَرَأَتْ عَارِضَ عَوْدٍ قَدْ ثَرِمْ

4– طيبة: ذكرت مرة واحدة في الديوان[5]

[1] – ابن مقبل: ديوانه، ص. 58.
[2] – ابن مقبل: ديوانه، ص. 23.
[3] – ابن مقبل: ديوانه، ص. 170.
[4] – ابن مقبل: ديوانه، ص. 281.
[5] – ابن مقبل: ديوانه، ص. 120.

غرض الغزل عند ابن مقبل:

يعدّ الغزل من أبرز المواضيع شيوعا في شعرنا القديم، وأعلقها بالقلب، ويعد ابن مقبل أحد شعراء البادية المعروفين بالتغزّل، إلا أن غزله مرتبط – في كثير من الأحيان –بالغزل الصناعي المرتبط بمقدمات القصائد، المبتدئ بالوقوف على الأطلال، ووصف آثار الديار التي كانت تسكنها الحبيبة، وربما تعرض الشاعر لوصف الحيوان، فيكون وصفه منطلقا إلى حيث يشبه بعض أوصاف المرأة بأعضاء تلك الحيوانات، كالظباء والبقر الوحشي (المها). وربما تطرّق ابن مقبل لمشهد رحيل القبيلة، فيصف الظعائن، وما يتركه مفارقة الحبيبة من حزن وأسى، فيلجأ إلى مخاطبة طيفهافيذرف الدمع ليخفف من ألم البين، ولعل إشارة امرئ القيس في مطلع معلقته "قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل" ما يعبّر أحسن تعبير عن هذا الموقف.

إنّ أبرز ما يميّز غزل ابن مقبل: احتواؤه على نوعين من الغزل:

غزل صناعي:

سار فيه الشاعر على سنة شعراء الجاهلية، وهو مرتبط بالمقدمة الطللية، حيث لا يستند هذا النوع إلى تجربة وجدانية حقيقية تربطه بالمرأة، فهو – في جوهره – غزل فني مصنوع، يتبارى في ميدانه الشعراء، ويتباهون بمقدرتهم الشعرية في رسم صورة استثنائية للمرأة وفق أنموذج نمطيّ تعارفوا عليه، بحيث تغدو مثالا لتجربة الشعراء الفنية.

ويمكن أن نمثّل لهذا النوع بـ "رائيتة" ابن مقبل؛ وهي على بحر البسيط، يقول في مقدمتها[1]:

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ قَفْراً لاَ أَنِيسَ بِهَا إِلاَّ المَغَانِي وإِلاَّ مَوْقِدَ الـــــنارِ[2]

فَطَامِسُ النُّؤْيِ عَافٍ لاَ يــــثَلِّمُه صَرْفُ اللَّيَالِي ولَمْ يُجْعَلْ بـِجَيَّارِ[3]

قَدُّ الوَلِيدَةِ في صَلْفَاءَ رَابـــــيَةٍ حَوْلَ الوَسَائِدِ مِنْ بَيْضَاءَ مِعْطَارِ[4]

[1] ابن مقبل، ديوانه، ص102.

[2] المغاني: المنازل التي كان بها أهلها ثم ظعنوا عنها.

[3] الطامس: الذي أمحى، والنؤي: حفيرة تحفر حول الخيمة ليصرف ماء المطر بعيدا عنه، والعافي: الذي قد امحى أيضا، اصرف الليالي: الحوادث والنوائب التي تكون فيه، الجيار: الجص المخلوط بالرماد والنورة.

[4] قد الوليدة: صفة النؤي قد شقته، والوليدة: الأمة، والصلفاء: الأرض الغليظة التي لا تنبت شيئا.

فقد استهلّها الشاعر بالوقوف على الديار المقفرة، التي لا أنيس بها إلا بعض الآثار الطامسة القديمة أو النؤي الذي يحيط ترابه بالخيمة، فيمنع عنه تسرّب السيل إلى الداخل،أو الموقد الذي أوقدته الأمة حول الدار، أو ذلك الخباء الذي يبدو بعض أثاثه، ووسائده التي كانت تتكئ عليها حسناء ناعمة عطرة، ثم يتحوّل الشاعر مباشرة بعد هذه المقدمة الطللية، إلى الكلام عن غرض قصيدته، وهو "الفخر"، مكتفيا بوصف هذه الحسناء البيضاء التي تفوح عطرا في نصف شطر (**حَوْلَ الوَسَائِدِ مِنْ بَيْضَاءَ مِعْطَارِ**)، لا يتعدى ذلك في قصيدته، وهو بشطره هذا، لا يكد يحرك فينا تلك المشاعر التي يجدها المتلقي تجاه المرأة.

غير أنّنا نجد ابن مقبل، في قصيدته "الميمية" يطوّل – قليلا – في وصف المرأة، فيقول[1]:

خَلِيلَيّ عُوجا حَيِّيَا أُمَّ خَـــــشْرَمِ ولاَ تَعْجَلاَنِي أَنْ أَقُولَ لَهَا اسْلَـمِي

رَقِيقَةُ سِرْبَالِ الحِرِيرِ، يَـــــضُوعُهَا غِنَاءُ الحَمَامِ الوُرْقِ بِالـــــمُتَهَوَّمِ[2]

إِذَا ابْتَسَمَتْ في مُظْلِمِ اللَّيْلِ فَـرَّجَتْ دُجَى اللَّيْلِ عَنْ عَذْبٍ أَغَرَّ مُـوشَّمِ[3]

ففي هذا المطلع، تبدو المرأة فيه رشيقة الجسم، ترتدي الحرير، يطربها صوت الحمام، وإذا ابتسمت في ظلام الليل، كشفت عن ثغر مُغْرٍ محاطٍ بالوشم، وأسنان ناصعة البياض.

غير أنّ هذا النوع من الغزل الصناعي التقليدي قد يبدو قليلًا بالمقارنة بالغزل العاطفي المحفوف بالشوق واللهفة، والحزن على الفراق، والتوق إلى اللقاء.

بنية غزله الصناعي:

من الطبيعي في المقدمات الطللية الغزلية أن يكون لأخبار الاستعداد للرحيل مراحل لاحقة له، وأكثر المراحل المستخلصة من مشاهد التحمّل والترحال في شعرنا القديم هي مرحلة التساؤل عن خبر الرحيل، ومتابعة الركب، والتوقف عند معالم الطريق، وذكر الظعائن والهوادج، وذكر النساء، والحديث عنهن، ثم موقف الشاعر من الظعائن المتحمّلة[4].

[1] ابن مقبل، ديوانه، ص281.

[2] السربال: القميص، يضوعها: يروعها ويهيجها، المتهوّم: لعله موضع.

[3] عن عذب: عن ثغر عذب، الأغر: الأبيض، الموشم: المنقوش بالوشم.

[4] شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، دمشق، 1959م، ص99/98، بتصرف.

فهناك علاقة بين ذكر الديار ورحيل الأحبة، وفي كلتا الحالتين يشعر الشاعر بالقلق من فراق الأخلة، وهذه المعاني تؤدي إلى بعضها بعض، وربما دفعه وصف الأطلال إلى الحديث عن رحلة الظعائن، وقد ورد ذكر الرحلة مرارا في شعرنا القديم.

وقد يشترك معظم شعراء الجاهلية في هذه العناصر؛ نظرا للتشابه في حياتهم الاجتماعية، التي غلب عليها الطابع البدوي القائم على الحركة والتنقّل والارتحال بحثا عن الماء والكلأ.

وقد نمثل لوصفه العابر (برائيته)؛ فقد استهلّها بالوقوف على الديار المقفرة، التي لا أنيس بها إلا بعض الآثار الطامسة القديمة أو النؤي أو الموقد الذي أوقدته الأمة حول الدار، ثم ينتقل إلى وصف الخباء والخيام المشرفة، التي بها الوسائد كانت تتكئ عليها حسناء ناعمة عطرة[1]:

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ قَفْراً لاَ أَنِيسَ بِهَا إِلاَّ المَغَانِي وإِلاَّ مَوْقِدَ الـــــنارِ[2]

فَطَامِسُ النُّؤْيِ عَافٍ لاَ يــــتُلِّمُه صَرْفُ اللَّيَالِي ولَمْ يُجْعَلْ بِـجَيَّارِ[3]

قَدُّ الوَلِيدَةِ في صَلْفَاءَ رَابـــــيَةٍ حَوْلَ الوَسَائِدِ مِنْ بَيْضَاءَ مِعْطَارِ[4]

ولم يطل الشاعر الحديث عن هذه المقدمة التقليدية، وكأنّه يريد أن يصل بسرعة إلى غرضه الأساسي، واكتفى بوصف هذه الحسناء بأنها بيضاء تفوح عطرا، بل إنّ هذه الأطلال لم تثر فيه شيئا من الصبابة والشوق – كما يطالعنا ديوانه في مواضع كثيرة – مما يدلّ على أنّه لم يتحدث عن هذه الأطلال، والمرأة الجميلة إلاّ كمقدمة تقليدية لموضوع الفخر في هذه القصيدة.

وإذا لم يتوقف ابن مقبل عن ذكر مطوّل للمرأة في هذه القصيدة، فربما يطيل الوقوف، بعض الشيء، عند وصف امرأة جميلة أخرى، كما نجد في (ميميته). فهي رشيقة الجسم ترتدي الحرير، يشجيها صوت الحمام، وإذا ابتسمت في ظلام الليل كشفت عن فم مغر محاط بالوشم، وثناياها بيضاء ناصعة، ونهدها موشى بأنواع الدر المضروبة في بلاد فارس.[5]

---

[1] ابن مقبل، ديوانه، ص102.

[2] المغاني: المنازل التي كان بها أهلها ثم ظعنوا عنها.

[3] الطامس: الذي أمحى، والنؤي: حفيرة تحفر حول الخيمة ليصرف ماء المطر بعيدا عنه، والعافي: الذي قد امحى أيضا، اصرف الليالي: الحوادث والنوائب التي تكون فيه، الجيار: الجص المخلوط بالرماد والنورة.

[4] قد الوليدة: صفة النؤي قد شقته، والوليدة: الأمة، والصلفاء: الأرض الغليظة التي لا تنبت شيئا.

[5] ابن مقبل، ديوانه، ص281.

خَلِيلَيّ عُوجا حَيِّيَا أُمَّ خَـــــشْرَمٍ ولاَ تَعْجَلاَنِي أَنْ أَقُولَ لَهَا اسْلَـمِي
رَقِيقَةُ سِرْبَالِ الحِرِيرِ، يَـــضُوعُهَا غِنَاءُ الحَمَامِ الوُرْقِ بِالـــمُتَهَوَّمِ[1]
إِذَا ابْتَسَمَتْ في مُظْلِمِ اللَّيْلِ فَـرَّجَتْ دُجَى اللَّيْلِ عَنْ عَذْبٍ أَغَرَّ مُـوشَّمِ[2]

إنّ مثل هذا الغزل التقليدي الذي نفتقد فيه حرارة المودة، واشتياق المحبين كان قليلًا مقارنة بغزله العاطفي الذي يفيض شوقا ولهفة للقاء الحبيبة أو البكاء على بعدها وفراقها. كما أنه لا يطيل الوقوف في مثل هذا النوع من الغزل، فنراه يسارع فيه ويريد التخلص منه والعودة إلى غرضه الأصلي، وذلك لأن العلاقة التي تربط بين الشاعر وهذا الغزل منعدمة، فهي بالنسبة له أداة أو مطية يمهد به لموضوع آخر على ما جرى التقليد العام في عصره.

وابن مقبل واحد من هؤلاء البُدو الذين شهدوا رحلة الظعائن، وعايشوها، وعاشوا تجربتها، ولذلك نراه يلتقي – مرات عديدة– بالمعنى العام مع هذه النقاط، إلاّ أنّه يختلف عن الشعراء في اللون الشخصي، أو العالم الداخلي، لأنّ لكلّ شاعر تجربته الخاصة مع الظعائن، ومشاهد الرحلة الداخلية في جزيرة العرب، فهو يحس رحيل الأحبة قبل وقته، لكنه لا يعلنه إلاّ في موعده، وغالبا ما يكون التساؤل مدخلا إلى إعلان خبر الرحيل، ويعد التساؤل بداية للحديث، الذي يفتتح به الكلام عن الظعائن كقوله[3]:

تَأَمَل خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِن ظَعَائِنٍ تَحَمّلنَ بِالعلياءِ فَوقَ إطانِ[4]

غزل عاطفي:

ويعرض ابن مقبل علينا غزلا آخر في ديوانه لا أثر فيه للتقليد إلا في موقعه من البنية العامة للقصيدة، وهو غزل وجداني ينبثق هذا النوع من الغزل عن تجربة وجدانية حقيقية، ويعكس معاناة ومكابدة شديدة في الحب، ولا يخلو من ذكر العاطفة والشباب والبعد والفراق. وهنا تظهر تجاربه الحقيقية

[1] السربال: القميص، يضوعها: يروعها ويهيجها، المتهوّم: لعله موضع.
[2] عن عذب: عن ثغر عذب، الأغر: الأبيض، الموشم: المنقوش بالوشم.
[3] ابن مقبل، ديوانه، ص338.
[4] الظعائن: جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج حين الارتحال، ويقال أيضا للجمل الظعينة وللهودج أيضا تكون فيه المرأة أو لا تكون.

في الحب خاصة مع امرأته (الدهماء)، التي فارقته عن كره، فتركت قلبه يذوب أسى ولوعة، حيث إنّ مجرّد ذكرها كان يثير في نفسه شوقا جارفا يوقظ فيهتلك الذكريات الجميلة الحالمة.

بنية غزله العاطفي:

كان من صور التعبير عند الشاعر اعتماد أسلوب القصة في سوق الخبر، نلحظ ذلك في رائيته التي استحضر فيها ابنته الحرّة، وابتدأها متذمّرا، من شيبه الذي غزا راسه منذ شبابه، ولم يتقبّله على كبره، رافضا الاستسلام له[1]:

يَاحُرَّ أَمْسَيْتُ شَيْخاً قَدْ وَهَى بَصَرِي ** وَالْتَاثَمَا دُونَ يَوْمِ الوَعْدِ مِنْ عُمُري

يَاحُرَّ مَنْ يَعْتَذِرْ مِنْ أَنْ يُلِمَّ بِهِ ** رَيْبُ الزَّمَانِ فَإِنِي غَيْرُ مُعْتَذِرِ

يَاحُرَّ أَمْسى سَوادُ الرَّأْسِ خَالَطَهُ ** شَيْبَ القَذالِ اخْتِلاَطَ الصفوِ بِالْكَدَرِ

يَاحُرَّ أَمْسَتْ تَلِيَّاتُ الصِّبَا ذَهَبتْ ** فَلَسْتُ مِنْهَا عَلَى عَيْنٍ ولاَ أَثَرِ

قدْ كنتُ أهدي ولا أُهدى ، فعَلَّمَني ** حُسْنَ المَقَادَةِ أَيِّ فَاتَنِي بَصَرِي

كانَ الشبابُ لِحاجاتٍ ، وكُنَّ لهُ ، **فَقَدْ فَرَغْتُ إِلَى حَاجَاتِيَ الْأَخَرِ

رَامَيْتُ شَيْبِي ، كِلاَنَا قَائِمٌ حِجَجاً ** سِتّينَ ، ثُمَّ ارْتَمَيْنَا أَقْرَبَ الفُقَرِ

رَامَيْتُهُ مُنْذُ رَاعَ الشَّيْبُ فَالِيَتِي ** ومِثلُهُ قبلهُ في سالفِ العُمُرِ

أَرْمِي النُّحُورَ فَأُشْوِيها ، وتَثْلِمُنِي ** ثَلْمَ الإِنَاءِ ، فَأَغْدُو غَيْرَ مُنْتَصِرِ

في الظَّهْرِ والرأسِ حتى يستمرَّ بهِ ** قَصْرُ الهِجَارِ وفِي السَّاقَيْنِ كَالْفَتَرِ

ثم يتّخذ أسلوب الحوار، مخاطبا (سلمى)، ابنة عصر العقيليّ، التي سخرت من هرمه وعوره، يوم قصد خيمتهم للسقاية، فغادر مغاضبا، لولا أن أدركه أبوها، وخيّره الزواج من إحدى ابنتيه، إرضاء له، فيختار سلمي، وهو في حواره، يقارن بين شيخوخته وشبابها، الذي رأى فيه بعض التعويض لما ضاع من شبابه، وبعض التعويض لاستهزاء سلمى به واستخفافها بمظهره[2]. يقول ابن مقبل[3]:

قالتْ سُلَيْمى ببطنِ القاعِ مِن سُرُحٍ : ** لاَخَيْرَ في العَيْشِ بَعْدَ الشَّيْبِ والكِبَرِ

[1] – ابن مقبل، ديوانه، ص75/74/73/72.

[2] – ليلى توفيق العمري: المياه في شعر تميم بن أبيّ بن مقبل (قراءة تأويلية)، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 32، العدد: 01، 2005

[3] – ابن مقبل، ديوانه، ص78/77/76.

واسْتَهْزَأَتْ تِرْبُهَا مِنِّي . فَقُلْتُ لَهَا : ** ماذا تعيبانِ منّي يا بْنَتَيْ عَصَرِ ؟
لولا الحياءُ ولولا الدّينُ عِبْتُكُما ** بِبَعْضِ مَافِيكُمَا إِذْ عِبْتُمَا عَوَرِي
قَدْ قُلْتُمَا لِيَ قَوْلاً لاَ أَبَا لَكُمَا ** فيهِ حديثٌ على ما كانَ مِنْ قِصَرِ
ما أنتما والذي خالتْ حُلومُكُما ** إلاَّ كحَيْرانَ إذْ يَسْري بلا قَمَرِ
إنْ يَنْقُضِ الدهرِ منّي مِرَّةٍ لِبِلىً ** فَالدَّهْرُ أَرْوَد بِالأَقْوَامِ ذُو غَيرِ
لَقَدْ قَضَيْتُ ، فَلاَتَسْتَهْزِئَا سَفَهاً ، ** مِمَّا تَقَمَّأْتُهُ مِنْ لذةٍ وطَرِي
يا جاريَتَيَّ على ثاجٍ ، طريقُكما ، ** سَيْراً حَثِيثاً ، أَلَمَّا تَعْلَمَا خَبَرِي
أَنِّي أُقَيِّدُ بِالْمأْثُورِ رَاحِلَتِي ** ولا أُبالي ، ولو كنَّا على سفرِ

وفي ميميته التي قالها في (الدهماء)، وقد كنى عنها بليلى، يبدو ابن مقبل مهموم النفس، كاسف البال لرحيل الدهماء عن الديار وما خلفه التفريق بينهما من أثر قاس وما كناية ليلى عن الدهماء إلاّ كناية عن شبابه الذي ولّى، وعن ماضيه الذي قضّاه إلى جانبها[1].

فَإِمَّا هَلَكْتُ فلاَ تَجْزَعِي ** ونَامِي على دَائِكِ المُسْتَكِنْ
لعَمْرُ أَبِيكِ، لَقَدْ شَاقَنِي ** مكانٌ حزنْتُ لهُ أوْ حَزِنْ
مَنَازِلُ لَيْلَى وأَتْرَابِهَا ** خَلا عَهدُها بينَ قَوٍّ فَقُنْ
خلا عهدُها بعدَ سُكَّانِها ** لِما نالَها مِن خَبالٍ وجِنْ
ليالِيَ ليلى على غانِظٍ ** وليلى هوى النَّفْسِ ما لمْ تَبِنْ
سقَتْنِي بصَهباءَ دِرْياقَةٍ ** مَتَى مَا تُلَيِّنْ عِظَامِي تَلِنْ
صُهَابِيَّةٍ مُتْرَعٍ دَنُّهَا ** تُرَجَّعُ من عُودِ وَعْسٍ مُرِنّ
وشَقَّتْ ليَ اللَّيْلَ عن جَيْبِهِ ** بِلَذَّتِهَا ، وضَجِيعِي وَسِن
ولوْ بذلَتْ حُسنَ ما عندَها ** لِبَارِحِ أَرْوَى نَوَارٍ مُسِنْ

حيث ذكر الدهماء رمز صلته الجاهلية، وقد لجأ إلى حياة الجاهلية لجوء اليائس الذي يبحث عن الأمل في ماضيه، ظنا منه أنّه إذا تذكر الشباب، استعاد حبه القديم[1] (حب الدهماء)، ولكن أنّى له

[1] – ابن مقبل، ديوانه، ص295/296/297.

ذلك، وقد صدم بحقيقة الواقع الذي فرضته التعاليم الإسلامية، حين فرّق بينهما، كما ذكر بن حبيب، أو كما صرّح هو – نفسه – بذلك[2] .

أناظرُ الوَصلُ أمْ غادٍ فَمَصرُومُ ** أمْ كلُّ دَيْنِكَ مِن دَهماءَ مَغْرومُ
أمْ ما تَذَكَّرُ مِن دَهماءَ إذْ طعلَتْ ** نَجْدَيْ مَرِيعٍ، وقَدْ شَابَ المَقَادِيمُ
هَلْ عاشقٌ نَالَ من دَهْمَاءَ حاجَتَهُ ** في الجاهليةِ قبلَ الدِّينِ مَرْحومُ

أمّا عن قصة التفريق بين ابن مقبل والدهماء، فقد " ذكر ابن حبيب أنّ ابن مقبل كان متزوجا الدهماء في الجاهلية، وكانت تحت أبيه، فخلف عليها بعد موته، وتلك عادة جاهلية، حيث كان الرجل، إذا مات، قام أكبر ولده، فألقى ثوبه على امرأة أبيه، فورث نكاحها، وقد فرّق الإسلام بين رجال ونساء أبائهم، وهم كثير، منهم تميم بن أبيّ بن مقبل، وكانت تحته دهماء امرأة أبيه، ففرّق بينهما الإسلام"[3]. ونص ذلك في سورة النساء: ((وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا)) [النساء: 22]

ولم يكن ابن مقبل ليترك الدهماء لولا أن فرّق الإسلام بينهما، وقد ساعد كبره وهرمه على تركها وقد كنى عن ذلك[4]:

أجدي أرى هذا الزمان تغيرا ** وبَطنَ الرِّكاءِ مِنْ مَواليَّ أقْفرا
وكائنُ ترى مِنْ مَنهَلٍ بادَ أهلُهُ ** وعيد على معروفه، فتنكرا
أتاه قطا الأجباب من كل جانبٍ ** فنقَّر في أعطانه، ثمَّ طيَّرا
فإمَّا تَرَيْني قدْ أطاعَتْ جَنينَتي ** وخيط رأسي بعدما كان أوفرا
وأصبحت شيخاً أقصر اليوم باطلي ** وأدَّيْتُ رَيْعانَ الصِّبا المُتَعَوَّرا
وقدَّمْتُ قُدَّامي العصا أهتدي بها ** وأصبحَ كَرِّي للصَّبابةِ أعْسرا

[1] – ليلى توفيق العمري: المياه في شعر تميم بن أبيّ بن مقبل (قراءة تأويلية)، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 32، العدد: 01، 2005

[2] – ابن مقبل، ديوانه، ص 267/266.

[3] – أبو جعفر بن حبيب، المحبر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت (د.ت)، ص: 326/325.

[4] – ابن مقبل، ديوانه، ص339.

"على أنّ ابن مقبل، وإن استسلم للقيود التي فرضها الإسلام عليه، لكنّ استسلامه كان في الظاهر مجاراة للوضع القائم فحسب، إذ ربما كان مجاملة لهذا الدين مجاملة يفهم منها مجاراة الواقع للمصلحة، وإلاّ، فإنّ ابن مقبل ما زال يبكي في شعره الجاهلية وأهلها، بكاء يدل على أنّه ترك الدهماء راغما لا راغبا، وأنّه ما فتئ يذكرها في شعره، ويحنّ إليها "[1]. يقول ابن مقبل[2]:

أَلَهْفي على عزٍّ عزيزٍ وظِهْرَةٍ ** وظلٍ شبابٍ كنت فيه فأدبرا

ولَهْفي على حَيَّيْ حُنَيْفٍ كِلَيْهِما ** إذا الغيث أمسى كابي اللون أغبرا

يذكرني حيي حنيف كليهما ** حمامٌ ترادفن الرَّكِيَّ المُعَوَّرا

ومالي لا أبكي الديار وأهلها ** وقدْ حَلَّها رُوَّادُ عَكٍّ وحِمْيَرا

فإن بني قينان أصبح سربهم ** بجرعاء عبسٍ آمناً أن ينفرا

يقول ابن سلام الجمّحي في ترجمته: "وكان ابن مقبل جافيا في الدين، وكان في الإسلام يبكي أهل الجاهلية، ويذكرها"[3].

وربما سمعناه يرد على ابنتي عصر العقيلي بعدما آذوه بسخريتهما فيقول[4]:

لولا الحياء، ولولا الدين عبتكما ببعض ما فيكما إذ عبتما عوري

فهو يقدم الحياء على الدين، مما يوحي بأثر الأخلاق الجاهلية الكريمة، وعدم تأثّره العميق بالدين، وإن كان حديث عهد به.

ولقد قيل له: "تبكي أهل الجاهلية وأنت مسلم؟". فقال[5]:

ومالي لا أبكي الديار وأهلها ** وقدْ حَلَّها رُوَّادُ عَكٍّ وحِمْيَرا

وجاء قطا الأجباب من كل جانب فوقّع في أعطانها ثمّ طيّرا

ويعلق ابن رشيق القيرواني في العمدة على هذا الشعر، فيقول: "ومن أنواع الإشارات الكناية والتمثيل – وذكر البيتين – فكنى على ما أحدثه الإسلام، ومثّل كما ترى"[1]

[1] – ليلى توفيق العمري: المياه في شعر تميم بن أبيّ بن مقبل (قراءة تأويلية)، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 32، العدد: 01، 2005

[2] – ابن مقبل، ديوانه، ص141/132.

[3] – محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني للنشر، جدة، ج02، ص143.

[4] – ابن مقبل، ديوانه، ص 76.

[5] – ابن مقبل، ديوانه، ص132.

ولا يكتفي ابن مقبل بالتكنية على ماضيه الجاهلي وحياته الجاهلية بل يكني على الدهماء بليلى، إذا ما ذكرها حفاظا عليها، وقد غدت من ذكريات الماضي، وإسكاتا لحفاظ شعره ورواته حين يخوضون في الحديث عن علاقة الشاعر بها

وهو يصرّح بذلك في شعره فيقول[2]:

فَهَلْ يُبْلِغَنِّي أَهْلَ دَهْمَاءَ حُرَّةٌ ** وأعْيَسُ نَضَّاحُ القَفا مَرَجانِ

لَقَدْ طَالَ عن دَهْمَاءَ لَدِّي وعِذْرَتِي ** وكِتْمَانُهَا أَكني بِأُمِّ فُلاَنِ

جعلْتُ لجُهَّالِ الرجالِ مَخاضَةً ** ولو شِئْتُ قد بَيَّنْتُهَا بِلِسَانِي

توظيف المرأة في شعره

المرأة والمطالع الشعرية:

إنّ الناظر لمطالع قصائد ابن مقبل، يدرك أنّه التزم فيها طريقة الشعراء القدمي في مطالعهم؛ من حيث المقدمة الطللية: التي أخذت شكلا موضوعاتيا خاصا يبدأ بالوقوف على الطلل، وبكاء الأحبة لفراقهم المكان، وذكر الرحلة والراحلة ومعاناة الشاعر في هذه الرحلة حتي يبلغ قصدية نظمه لقصيدته (مدح – فخر – وصف..). وعلى هذه العناصر البنائية في المقدمة الطللية، بنيت المعلقات، وسار على نهجها كثير من القصائد الجاهلية.

غير أنّ الذي يهمنا في شعر ابن مقبل، هو حضور المرأة في شعره، وحضورها في قصائده قد يأخذ شكلين:

– إما أن تحضر المرأة ضمن عناصر المقدمة الطللية، ومن ثم سيكون هذا الحضور ضمن العناصر البنائية لمطالع القصيدة واستهلالاتها؛ وتكون المرأة من باب الغزل الصناعي الذي يتبارى فيه الشعراء، وفق أنموذج لا يخرجون عنه.

[1] – ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محيي الدين، دار الجيل للنشر، ط05، 1981م، ص305.

[2] – ابن مقبل، ديوانه، ص343.

– وإمّا أن يكون حضور المرأة في القصيدة موضوع القصيدة الأساسين بعيدا عن حيّز المقدمته الطلليّة، كأن يكون غرض القصيدة الغزل، أو غرض الوصف، حيث تكون المرأة ضمن عناصر موضوعها، حال معلقة امرئ القيس الذي كان الغرض في معلقته وصف الفرس، والصيد، ومجلس الشرب والعبث، وكانت المرأة جزءا من هذا الديكور.

والذي يلاحظ على حضور موضوعة المرأة في شعر ابن مقبل أنّها ارتبطت بالغزل، وقد كان على مستوى المقدمة الطللية (الغزل الصناعي)، وعلى مستوى الغرض الشعري (الغزل العاطفي)

فعلى مستوى المقدمات الغزلية، وعلى الرغم من أنّ ابن مقبل،في استهلالاته، يسير على النمط الجاهلي، فيذكر ديار الحبيبة – على عادة شعراء الجاهلية – ويشابههم في منهج القصيدة، إلاّ أنّنا نجد فرقا بينه وبين غيره في التعبير عن العالم الداخلي في القصيدة؛ فلكلّ شاعر تجاربه الخاصة به، ومن هنا يختلف الشعراء باختلاف أذواقهم، ومشاعرهم، ونفسياتهم، فلكلّ شاعر قالبه وأسلوبه الشخصي الذي يضفيه على شعره.

ولا يخاطب ابن مقبل الديار – في ذاتها – بقدر ما يخاطب من سكن هذه الديار، وبناء على هذا، فالبيوت هي وسيلة، وليست غاية، وهذا مذهب فني معروف عند الشعراء، ويظهر في قول مجنون ليلى[1]:

أمُرُ على الدِيار ديار ليلى أُقَبل ذا الجدارَ وذا الجدارَا

صورة المرأة في الغزل:

إنّ أولى محددات هذا الحضور:

– ذكر المرأة مرتبطة بحركة الرحلة عن المكان، أو ما يعرف في مصطلحات شعراء الجاهلية بـ (الظعن)، ومعها تظهر مرارة الفراق، وحرارة الشوق والحنين إلى الحبيب.

– ذكر المرأة عبر الطيف (طيف الحبيب).

[1] ديوان مجنون ليلى، تح: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر للنشر، مصر، 1979م، ص132/131 .

– ذكر الشيخوخة والبكاء على ذهاب الشباب، الذي يحدّد الموقف من النساء، أو موقف المرأة من شيخوخة الشاعر.

– الوصف الحسي للمرأة بعيدا عن التجربة الوجدانية، وتنافس الشعراء حول براعة النظم وفق المعيار (أنموذج المرأة).

وأغلب هذه المطالع تقوم على التساؤل أو السؤال، مثل قول ابن مقبل[1]:

سل المنازل كيف صرم الواصل أم هل تبين رسومها للسائل

أو قوله [2]:

سائل بكبشة دارس الأطلال قد هيّجتك رسومها لسؤال

أو قوله[3]:

هل القلب عن دهماء سال فمسح وتاركه منها الخيال المبرّح

وقد نجده يشكو الشيخوخة لابنته (حرّة)[4]:

يا حرّ أمسيت شيخا قد وهى بصري وٱلتاث ما دون يوم الوعد من عمري

غير أن كثير من النقاد لا يكاد يفرق بين ذكر المرأة في المقدمة الطللية، وهي جزء من أجزائها، وبين القصيدة التي أعدّت لغرض الغزل[5].

[1] – ابن مقبل، ديوانه، ص 548.
[2] – ابن مقبل، ديوانه، ص.549
[3] – ابن مقبل، ديوانه، ص550.
[4] – ابن مقبل، ديوانه، ص352.
[5] – ابن مقبل، ديوانه، ص 352.

وقد أشار (ابن قتيبة)، في كتابه "العمدة" إلى هذه المطالع الغزلية حين يبتدئ الشعراء بذكر الديار والدمن والآثار، ومخاطبة الربع، واستوقاف الرفيق، فيكون البكاء والشكوى سببا في ذكر (الظعن)، ووصف النساء في الهوادج، مما يحرّك مشاعر الشوق، التي يسببها تنقّل القبيلة إلى مكان آخر، فيبدأ الشاعر في النسيب، وإظهار شدة الوجد وألم الفراق قصد استمالة القلوب بالكلام الرقيق عن النساء، فيتحقّق الاستماع بشعره[1].

وقد يبدأ ابن مقبل بما ليس له علاقة بالمرأة في مقدمته الطللية، كالكلام عن الأطلال، وشواهد الآثار المدمّرة التي يخلفها صراع القبائل فيما بينها، وحروبهم المستمرّة،غير أن استطراد الشاعر قد يذهب بهإلى ذكر الراحلة والمرأة للتلازمية، التي بينهما؛ كون الناقة وسيلة ترحالهم والظعن (الهودج) أداة حمل نسائهم، فإذا ما ذكر المرأة يقول:

كأنّ على فيها جنى ريق نحلة يباكره سار من الثلج أملح

يطير غثاء الدمن عنه فينتفي ببيشة عرضٌ سيله متبطّح

كأنّ صريع الأثل والطلح وسطه بخاتيّ جُونٌ ساقها متربح

"فهذا الاستطراد في وصف سيل الثلج قد يبدو غير متّسق مع الصورة الجمالية في البيت الأول، وكأنّ الشاعر كأنّما يريد أن يضفي معاني أخرى على المرأة الموصوفة؛ إذْ إنّ الماء هورمز الحياة، وقوله: (يطير غثاء الدمن عنه)، يدلّ على صفاء الماء، حيث يطير عنه الغثاء، وهذه إشارة وصفية للمعنى السابق (ريق المرأة)، ثم إنّ هذا السيلمتحدرمن الثلج، فهو يشبه في برودته وصفائه ريقتها، كما يشبه الثلج أسنانها، وفي الأثل والطلح الصريع؛ بفعل السيل الثلجي، ما يصوّر أثر الريق، إذ يصرع كالخمر راشقه، وهكذا أمكن تصوّر لوحة فنية في هذه الأبيات، حيث يصير الاستطراد ذا وظيفة تصويرية ،

[1] – ابن مقبل، ديوانه، ص353.

وليس شرودا بلا معنى كما قد يُظنّ"،وحين يدعو لحبيبته بالسُقيا، يستطرد في وصف السحاب والمطر، فيقول[1]:

سقاها، وإن كانتا عينا بخيلة أغرُّ سماكيٌّ أفاد وأمطرا

تهلّل بالغوْرين: غوْريْ تهامة وحلّت رواياه بنجد وعسكرا

له قائد دهمُ الرباب، وخلفه رويا يبجّسن الغمام الكنهورا

المرأة والصورة الشعرية:

يمكن تصنيف الصورة في هذا الشعر – بالنظر إلى موضوعاتها_ في اتجاهات ثلاثة: المرأة، والطبيعة، والإنسان والمجتمع، وهذه الثلاثة تأتي من التمازج بحيث تصبح محاولة الفصل بينها إفسادا للوحة متكاملة.

وسيرة ابن مقبل تقدم إشارات مهمة إلى علاقات خاصة كانت تربطه بالمرأة، وذلك على نحو يمثل – في بعضها – نقاط تحول رئيسة في حياته، سواء أكانت تلك المرأة معشوقة كامرأة أبيه (دهماء)، أم زوجة ك(كبيشة)، أم فتاة مستهزئة بشيخوخته وعَوَرِه، ك(سلمى) وأختها، أم بنتًا يبثها لواعج همه وتعبه، كابنته (حرة)، فالمرأة تتشكل على يديها حياته بمواقفها ومنعطفاتها المتنوعة، وكان هذا منعكسا على شعره وعلى الصورة منه بوجه خاص[2].

لقد كان الشاعر يستغل في بعض صوره عن المرأة معطيات الميثولوجيا العربية عن الطبيعة أتم استغلال، في مثل قوله:[3]

ثم ارتحَلنَ أُنَيا بعدَ تَضحيةٍ مثلَ المَخاريف من جَيْلَان أو هَجَرِ[4]

طافتْ بها الفُرْسُ حتى بَذَ ناهِضَها عُمٌ لَقِحْنَ لقاحًا غير مُبْتَسَرِ

[1] – ابن مقبل، ديوانه، ص 561، 562

[2]–ينظر: عبد الله الفَيفي، قلق الخضرمة بين الجاهلي والإسلامي ، ص676.

[3] ابن مقبل، ديوانه، ص92.

[4] التضحية: الطعام الذي يؤكل في وقت الضحى، المخاريف: جمع مَخْرَف أو مخرفة وهو بستان النخيل.

مشهد المرأة الظاعنة

وكثيرا ما ينتبه دارسو ابن مقبل عند تناول المرأة في شعره – من غير غرض الغزل – الكلام عن المرأة ضمن المقدمات الطللية، والتي غدت صورة نمطية عند شعراء الجاهلية حيث يتعرض الشاعر إلى موضوع الرحلة، فتناول المرأة لحظة ركوبها الهودج ليسير بها مع بقية نساء القبيلة، وهذه النقلة تعرف بالظعن، وتسمى المرأة في هودجها بالظاعنة. فنجد امرئ القيس – مثلا – يذكر هذه اللحظة، فيقول[1]:

بعينيّ ظُغْن الحيّ لما تحملوا لدى جانب الأفلاج من جنْب تيْمرا

ولم يكن ابن مقبل بمعزل عن هذه السنة الشعرية، فانظر إليه وهو يشبّه الظعن الذي يتبع الهودج فيه الهودج بسطر من النخيل، فيقول[2]:

لهم ظُعُنٌ سطرُ، تخال زهاءها إذا ما حزاها الآل من ساعة نخلا

فمقابلة بين المرأة والنخلة لا تخلو من إشارة فنية لوجه المشابهة بينهما، في النضارة والجمال، وفي الاستشراف والبروز، وفي الخصب والعطاء، وهي من مصادر الحياة المادية والمعنوية في جزيرة العرب.

وفي مشهد آخر يكرّس الشاعر مشهد المرأة والنخلة، فيقول[3]:

ثم ارتحلن أُنيّا بعد تضحية مثل المخاريف من جيلان أو هجر

طافت بها الفرس حتى بذّ ناهضها عُمٌّ لقحن لقاحا غير نبتسر

وهي صورة قريبة من قول امرئ القيس[4]:

فشبّهتهم في الآل لما تكمّشوا حدائق دوم أو سفينا مقيّرا

أو المكرعات من نخيل ابن يامن دوين الصفا، اللائي يلين المشقّرا

سوامق جبار أثيث فروعه وعالٍيْن قنوانا من البسر أحمرا

فكأن الشاعر هنا قد أحس –كغيره من الشعراء القدماء – بمعنى أعمق من ظاهر الصورة البلاغية في تشبيه الظعن بمنظر النخل، يتجاوزها إلى معناها الرمزي، ولهذا اختار كلمة "المخاريف"،

[1] امرئ القيس، ديوانه، ص57/56.

[2] ابن مقبل، ديوانه، ص 204.

[3]– ابن مقبل: ديوانه، ص 62.

[4] امرئ القيس، ديوانه، ص57/56.

المشتقة من "الخَرْف"، وهو اجتناء ثمر النخل، ووصفها بالطول، وأنها قد لقحت في وقتها المناسب، وأنها محفوفة بالعناية والتعهد من كل جانب، وأنها شبيهة بالإبل في الصبر على المشقة والعطش في هذه الصحراء القاحلة.

ومن هنا يبدو أن بستان النخل في مثل هذا التشبيه – لا يقابل إبل الظعن فحسب – كما ذهب بعض الدارسين – بل يشمل الهوادج وما تُقيله من الأهل والأحباب، وهذه الصفات التي يُعنى الشاعر بإضفائها على النخل (المشبه به)، ما هي إلا صفات – غير مباشرة – لهذه القافلة المسافرة بكل مل تحويه، فهي غرض الشاعر الأصلي هاهنا، وبمزيد من التحليل يمكن القول: إن النخل تقابل الإبل في معنى الصبر والعطاء، وما تحمله النخل من ثمار يقابل ما تحمله الإبل من الظعائن، في معنى الخصب وما يتعلق به من الجَمال والمتعة[1].

فالصورة واحدة عند كليهما، إلى درجة اتحاد الألفاظ أحيانا مثل (جيلان) و(طافت) أو أطافت، وهذا يعني أن هذه صورة نمطية، تعبر عن رمز مشترك متعارف عليه، يربط بين الظُعُن والنخل.

وهكذا ينظر الشاعر إلى هذه الصورة من زاويتين في وقت واحد، المرأة الراحلة بكل ما توحي به من معاني الجمال والخصب، حتى أصبحت معادلًا للنخل في حياته، وما يتوجسه في فراقها من خيفة، تتبدى من تَغَول الوادي الطويل الذي كانت تَعبُرُه.

ويصور حبيبته (دهماء) شاكيا بعدها، معبرًا عن جمالها وذكرياته معها، متخذا الترميز، فيقول:[2]

هل عاشقٌ – نال من دهماءَ حاجتَه في الجاهلية قبلَ الدِينِ – مَرْحُومُ

كأَنَّها مَارِنُ العِرْنِينَ مُفتَصلٌ منَ الظِّباءِ، عليهِ الوَدْعُ مَنْظومُ

وحبيبة ابن مقبل نادرة متفردة الأوصاف، ولأجل ذلك، يحاول الإفصاح عن هذا التميّز بتوظيف أسلوب التضاد، من مطابقة ومقابلة، لاحتواء عالمها الفاتن:

وطَفلةٍ غيرِ جُباءٍ، ولا نَصَفٍ من سِرِ أمثالها بادٍ ومكتُومُ[3]

[1] ينظر: عبد الله الفَيفي، قلق الخضرمة بين الجاهلي والإسلامي، ص677.

[2] ابن مقبل، ديوانه، ص268/267.

[3] طَفلة: المرأة الرخصة اللينة، والجباء: المرأة التي إذا نظرت لا تروع لصغرها، والنصف: المرأة بين الشابة والكهلة، كأن نصف عمرها قد ذهب.

فهي ".. (غير جباءٍ) ولا (نَصَفٍ)"، و"من سِرها (بادٍ) و(مكتومُ)

وقد يرمز الشاعر إليها بـ "الظبية":

كأَنَّها مَارِنُ العِرْنِينَ مُفتَصلٌ منَ الظِّبَاءِ، عليهِ الوَدْعُ مَنْظومُ

وهي ضرب من الغزلان البيض، يضرب به المثل في الرشاقة وشدة النفور، لتجسيد قمة الانبهار بهذا الحيوان الذي كاد يدخل عند العرب في دائرة المقدس[1]

والمرأة الحبيبة المثال عنده (أُم مثوى)، حيث يضيف إلى صفة الجمال فيها عواطف الأمومة، وخصب الأنوثة.[2]

شَاقَتكَ أختُ بني دَأْلانَ في ظُعُن من هؤلاء إلى أنْسابِها شِيَعُ[3]
مِن أمِّ مَثْوىً كريمٍ هابَ ذِمَّتَها إنَّ الكريمَ على عِلاَّتِهِ وَرِعُ
حَوْرَاءُ بَيْضاءُ ما ندري أتُمْكِننا بَعْدَ الفُكَاهة أم تأبى فَتَمْتنِعُ
ترنو بعيني مهاة الرَّمل أفردها رخصٌ ظلوفته إلاَّ القنا ضرع
يمشي إلى جنبها حالاً وتزجله ثُمَّتْ يُخالِفُها طَوراً فيضْطَجِعُ
ظلَّت بأكثبة الحزَّين ترقبه تخشى عليه إذا ما استأخر السبع

في هذه الصورة الحيّة، يحاول الشاعر أن يؤصل نظرته إلى المرأة، على طريقة شعراء الجاهلية، الذين رأوا في المرأة – إلى جانب نظرتهم المادية لها – رمزا للخصب والنماء، فحاول ابن مقبل الالتفات إلى الصفات المعنوية في المرأة، مستحضرا عفتها ورقّتها وأمومتها. وليس ذكره للبقر الوحشي (المهاة)[4]، وحنوّها على صغيرها العاجز، وخوفها عليه من السباع إلاّ تكريسا وتكثيفا لصورة الأمومة فيها[5].

---

[1] ينظر: عبد الله الفَيفي، قلق الخضرمة بين الجاهلي والإسلامي، ص671.

[2] ابن مقبل، ديوانه، ص174/169.

[3] شاقتك: أي أثارتك، بنو دألان: هناك دألان بن سابقة بن ناشج، من همدان من القحطانية، وقد دعاها في غير المكان من هذه القصيدة –بنت آل شهاب –، شيع: جمع شيعة، وهم كل جماعة أمرها واحد.

[4] المهاة: أصل الكلمة "المهاة" وتعني في اللغة العربية البلورة، ومنها اشتقى قدامى العرب كلمة "المهَاة" كتسمية لحيوان الظبي الصحراوي وذلك لأن المهاة العربية تتميز بلونها شديد البياض مع عيون واسعة جميلة وسواد يغطيها أشبه بالكحل لذلك كان شعراء العرب قديما يتغزلون بجمال محبوباتهم بوصفهن ب"عيون المها".

[5] ينظر: عبد الله الفَيفي، قلق الخضرمة بين الجاهلي والإسلامي، ص683/682.

ومن صور التوظيف على سبيل الصورة الشعرية، نجد (المرآة البيضة)، في مثل قوله[1]:

لدهماءَ إذْ للنَاسِ والعَيْشِ غِرَةٌ إذ خُلُقانا بالصِبا يَسَرَانِ
تَشَكَتْ ببعضِ الطَرْفِ حتى فَهِمْتُهُ حَياءَ، وما فاهتْ بهِ الشَفَتَانِ
كبَيضةِ أُدْحِيٍّ يُوَحوِحُ فوقَها هِجَفانِ مُرْتاعا الضُحَى وَحَدَانِ[2]

وهو بيض طائر "الرخمة"، الذي اتّخذ من رؤوس الجبال وكرا له، فصار يضرب به المثل في المنعة وصعوبة المنال، وقد قالت العرب: "أعز من بيض الأنوق"، وتتجلى هذه المنعة عند الشاعر في منعتين: منعة "جغرافية" للمسافة التي تفصل الشاعر عن مضارب قومها، ومنعة "معنوية" للقيود الاجتماعية والدينية التي تحول بينهما

ولعل وجه المشابهة قد تكون ظاهرة كعلامة على البياض والملاسة، والهشاشة، أو تكون علامة ضامرة، دالة على الروح التي تسكنها، والحياة التي تحملها، وما يستوجب في كلتا الحالتين من الرعاية والصيانة والحفظ، كذلك المرأة في حياة الرجل.

ولا يخلو شعر ابن مقبل من تناول (المرأة / الجسد)، فهي كالدمية، يجتمع فيها كلّ ما يشتهيه الرجل من مواصفات مادية، وعادة ما يمتزج جمالها بجمال الطبيعة الحية، حيوانها، ونباتها وجمادها، وقد يتجاوزه التجسيد من التجسيد الحسي، إلى التجسيد الرمزي، فيتسرّب ما يرتبط بالميثولوجيات العربية، والأساطير الدينية القديمة.

فتتداعى الصور، وتتنامى من صور حسية (سمعية، بصرية، لمسية، شمية) إلى صور معنوية (نفسية، رمزية)، ولكن بتناول فني جمالي فطري التصوير[3].

ومثلما كان ينظر إلى تفاصيل جسد المرأة بعين الشاعر القديم، كان ينظر إلى ما يجاور الجسد من: لباس، وزينة، وحلي، فيقول[1]:

---

[1] ابن مقبل، ديوانه، ص337.

[2] الأدحي: مبيض النعام في الرمال، تدحوه النعامة برجلها ثم تبيض فيه، وليس للنعام عش، والهجف من النعام: الجافي الثقيل الكثير الريش، ومرتعاها الضحى: أي أفزعها الضحى، والوحدان: منفردان، شبه دهماء ببيض النعام في امتلائها وملاستها ولونها.

[3] ينظر: عبد الله الفَيفي، قلق الخضرمة بين الجاهلي والإسلامي، ص: 691/ 694/ 700/696.

خَلِيليَّ عُوجا حَيِّيَا أُمَّ خَشْرَمٍ ولاَ تَعْجَلاَنِي أَنْ أَقُولَ لَهَا اسْلَمِي
رَقِيقَةُ سِرْبَالِ الحَرِيرِ، يَضُوعُهَا غِناءُ الحَمَامِ الوُرْقِ بالمُتَهَوَّمِ
إذا ابتسمَتْ في مُظلِمِ الليلِ فرَّجَتْ دُجَى اللَّيْلِ عنْ عَذْبٍ أَغَرَّ مُوشَّمِ[2]
أغَرَّ الثَّنايا، حُفَّ بالظَّلْمِ، نَبتُه ذُرَى بَرَدٍ أَطْرَافُهُ لم تَثَلَّمِ
ونَحْرٍ جَرَى مِنْ ضَرْبِ فَارِسَ فَوْقَهُ بِمَا شِئْتَ مِنْ دِينَارِ عَيْنٍ ودِرْهَمِ
كجَمرِ الغَضى فوقَ النَّقا هبَّتِ الصَّبا لهُ مَوْهِناً مِن عارِضٍ متبَسِّمِ

ففي هذه الصورة يسيطر على الشاعر البريق الظاهري للمرأة، حيث يتجلّى في سربال الحرير، وفي رقة حركة المرأة، وفي ثغرها البسام الأغر، ونحرها الجاري المشتعل بما شئت من دنانير الذهب ودراهمه، وهنا تبدو المرأة أنيقة، فارهة، متمتعة بالملبس الناعم، والحلية الثمينة، فهي من طبقة أشبه ما تكون بالأرستقراطية، تنام في سرابيل الحرير الرقيقة، وتزين صدرها بدنانير الذهب ودراهمه الفارسية، فيكمل جمال المظهر المترف جمال مغرياتها الجسدية.

ويصور ابن مقبل في ديوانه فئة من النساء في عصره، هي فئة (الحانيات)، وهن النساء اللائي يقمن على خدمة أماكن القصف، وحوانيت الخمر، التي يديرها – غالبا – يهود جزيرة العرب، وبعض النصارى المنقطعين الذين يتّخذون من أديرتهم وصوامعهم محطات لعابري السبيل، حيث يجدون فيها الطعام والشراب. وقد تعوّدت العرب أن تقصُد هذه الأماكن لتناول الخمرة.

والحانيات: مفرد حاني للمذكر، وحانية للمؤنث، والحان والحانة والحانوت مكان بيع الخمر وما يرافقها من طعام سريع التحضير مثل الشواء، ومن أنواع النساء في الحانة: الحانيات؛ أي الساقيات الخمور، والقينات؛ أي: المغنيات المطربات، والراقصات، والمومسات؛ بائعات الهوى.

وقد نقل ابن مقبل مشهدا لما يدور في مثل هذه المواضع في جزيرة العرب، وهي صورة إحدى الحفلات الليلية الصاخبة، التي أقيمت على رمال مكان يسمى (خبْت طِحال)، وقد حضرتْ معه هذه الحفلة زوجته (كبيشة)، كما يبدو من النص، إذ يقول:

لَيْتَ اللَّيَالِي، يَا كُبَيْشَةُ، لَمْ تَكُن إلاَّ كَلَيْلَتِنَا بِخَبْتِ طحَالِ[1]

---

[1]- ابن مقبل، ديوانه، ص281/ 282.

[2] عذب: أي ثغر عذب، أغر: أبيض، يعني الأسنان، موشم: أي منقوش بالوشم على اللثة أو الشفتين.

في ليلة جرت النحوس بغيرها يبكي على أمثالها أمثالي
بتْنا بدَيّرةٍ، يُضيءُ وجـــوهَنا دَسَمُ السَّلِيطِ عَلَى فَتِيلِ ذُبَالِ[2]
حتى انتَشَيْنا عندَ أَدْكَنَ مـتْرَعٍ جَحْلٍ، أُمِرَّ كُراعُهُ بـــــعِقالِ[3]
مِمَّا تُعَتَّقُ في الدِّنَانَ كَأَنَّهَا بِشِفَاهِ نَاطِلِهَا ذَبِيحُ غَزَالِ
وغِناءِ مُسْمِعةٍ جرَرْتُ لصوتِها ثَوبي ، ولذَّةِ شاربٍ وفِضالِ
صدحَتْ لنا جَيْداءُ تركضُ ساقُها عندَ الشُّروبِ مَجامِعَ الخَلْخالِ

والغريب أن ينقل الشاعر هذا المشهد غير المألوف في حضور رفيقته (كبيشة)، التي قيل: إنها كانت زوجته، وقد كان الشاعر شديد الإعجاب بقيْنة الحانة، وهي تعزف على آلتها، وتغني بصوت أجشّ مبحوح، وتضرب برجلها على الأرض طربا، فيسمع خلخال ساقها، والشاعر ينفعل بهذه الأجواء، بعدما لعبت الخمرة برأسه، لدرجة أنّه انسجم معها فراح يجرّ الثوب طربا وانتشاءً.

والمستقبل لهذا المشهد الماجن لا بد أن يستنتج صورة من صور الحرية التي كانت تتمتّع بها المرأة – إن صحّ أن تكون (كبيشة) زوجة الشاعر، وأنها قد حضرت هذا المكان معه – مع وضع اعتبارِ أنّ الشاعر سيدٌ في قومه – فإن ذلك يوهم بوجود هامش من الحرية، ونزعة من التحرّر، قد لا يتصوّرها مؤرخو العصر الجاهلي عن مجتمع جزيرة العرب، وخاصة، حينما يكون الكلام عن بيئة منغلقة محافظة مثل بيئة البادية[4].

[1] –الخبت: ما اطمأن واتسع في بطون الأرض.

[2] –الديرة من الرمل : كالدارة ، و هي رمل مستدير تحيط به جبال، و ربما قعدوا فيها وشربوا، السليط : الزيت، والذبال: جمع ذبالة و هي الفتيلة التي تسرج.

[3] أدكن : زق أدكن وهو الأغبر إلى السواد ، الجحل : الزق العظيم الضخم ،كراعه : رجله، لأن الزق يكون من جلد الماعز، العقال : الحبل الذي يربط به.

[4]– ينظر: عبد الله الفَيفي، قلق الخضرمة بين الجاهلي والإسلامي، ص. 702.

خاتمة

خاتمة

لكل بداية نهاية، وأفضل استثمار للنهايات في مجال البحث: أن نحاول تحديد ثمرتها، ورصد نتائجها، وإن كان مجال البحث مفتوحا على الدوام، وما من نتيجة إلا وتفضي إلى أسئلة متجددة تفتح منافذ أخرى للبحث.

لعلّ من أهم النتائج التي توصل إليها البحث: متابعة موضوعة المرأة في شعر تميم بن أبي بن مقبل، وحقيقة وجودها في تجربته الذاتية، التي أفصحت عنها تجربته الشعرية. ونحسب أنّها عكست – على الأقل – جزءا من الحقيقة، التي نراها تتمثّل في ما يلي:

- تتميز صورة المرأة في الشعر الجاهلي بتنوعها وثرائها، فهي تظهر المرأة في مختلف جوانبها: حبيبة، وزوجة، وبنتا، وأمّا، وصديقا، وصوتا رمزيا متخيّلا في الشعر.
- كانت المرأة محور اهتمام الشاعر في قصائده، حيث تجلت في ممارسته الشعرية في صورتين: صورة نمطية؛ سار فيه الشاعر على سنة الشعراء الجاهليين، تعكسها مقدماتهم الطللية الغزلية، وصورة ذاتية عكستها تجربة الشاعر مع زوجته (الدهماء)، وقصة زواجه الفاسد.
- لم يخرج الشاعر في موضوعة المرأة عن الأنموذج الجاهلي ونظرته المنغلقة تُجاهها، حيث كان الشاعر أمينا فيوصفها وتصويره وفق الأدوات الفنية الكلاسيكية، وهو يتناول جمالها المادي، وجمالها المعنوي، وحضورها النفسي والروحي، ويعبّر عن مختلف عواطفه تجاهها.
- كانت صورة المرأة في شعر تميم بن مقبل إيجابية مُشرقة، فهي تظهر جانب الرجل المتودّد، للمرأة الإنسان، وللمرأة المكمّلة للرجل، بما لها من حضور قوي، فاعل، مثمر في مجتمعها.
- استطاع الشاعر أن يرسم واقع المرأة في جزيرة العرب، وفق زمنين تاريخيين عاشهما في لحظتين زمنيتين مختلفتين في بعدهما: السياسي والاجتماعي والفكري. ولعل لفظة "الخضرمة"، أو معايشة فترة من الجاهلية والإسلام، قد تجيب عن طبيعة الأسئلة التي قد تطرح حضاريا وثقافيا على تجربة ابن مقبل الشعرية، وموقف الشاعر منها.
- صورة المرأة في شعر تميم بن مقبل تكاد تكون نمطية؛ تميل إلى واقعها الجاهلي، ولا تحمل تميّزها الجديد في ظلّ الإسلام، حيث كان ابن مقبل حريصا أن يبقى جاهليا، لإصرارها أن يبقى بدويا

- تجربة ابن مقبل الزوجية (زواجه الفاسد – من المنظور الإسلامي – حين ورث زوجة أبيه مع تركته)، قد قدمت تجربة شعرية حقيقية وقاسية بالنسبة للشاعر، جسّدت قوة التعلّق بالماضي، ومرارة الامتثال إلى الأحكام الشرعية.
- اقتصر البحث، في تناول موضوعة المرأة في غرض الغزل، وما يرتبط به من وصف وتصوير، وهو – بذلك – يقدم صورة فنية جمالية للغزل الجاهلي وتطوّره في صدر الإسلام،
- وفي الأخير، فإنّ هذه الدراسة قد تمثل لي – شخصيا – بعض الوفاء للأستاذ الشهيد – بإذن الله – مسعود عامر، عميد كلية الآداب واللغات سابقا، والذي شاء الله أن يختاره إلى جواره، وقد رأى الأستاذ المشرف أن تكون رسالة المرحوم في الماجستير، والموسومة بـ "تميم بن مقبل (حياته وشعره)"، محور رسالتنا في الماستر، وأن تكون استثمارا لأفكاره وآرائه البحثية، وتثمينا لمجهوده البحثي. فجزى الله الأستاذ المشرف، وتغمّد الله روح الفقيد بالرحمة الواسعة.. آمين

مكتبة البحث

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم (رواية ورش عن نافع)

المصادر:

- الأصفهاني (أبي الفرج الأصفهاني):**كتاب الأغاني**، دار الثقافة، بيروت، 1993.
- ابن بطال (أبو الحسن علي بن بطال): **شرح صحيح البخاري**، باب النكاح، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد للنشر، السعودية، الرياض، ط. 02، 2003.
- البكري (أبو عبيد عبد الله البكري الأندلسي):**معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، عالم الكتب، بيروت، ط03، 1303هـ.
- الجمّحي (محمد بن سلام الجمّحي:**طبقات فحول الشعراء**، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني للنشر، جدة.
- ابن حبيب (أبو جعفر بن حبيب)، **المحبّر**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1942.
- ابن دريد (أبو بكر محمد بن دريد)، **الاشتقاق**، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط01، 1991.
- الضبي (المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي):**المفضليات**، تح أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط06، 1942.
- العسقلاني (أبو الفضل العسقلاني):**الإصابة في تمييز الصحابة**، .....
- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم بن قتيبة): **عيون الأخبار**، دار الكتاب العربي، بيروت،
- ابن قتيبة (أبو محمد بن قتيبة):**الشعر والشعراء**، دار الحديث، القاهرة، 1423.
- القيرواني (ابن رشيق القيرواني):**العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تح: محمد محيي الدين، دار الجيل للنشر، ط05، 1981.

- مسلم (أبو الحسين مسلم): **صحيح مسلم**، باب خير متاع الدنيا الزوجة الصالحة، تح. محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1955.
- ابن منظور (محمد بن مكرم بن منظور): **لسان العرب**، نشر أدب الحَوزَة، قم، إيران، 1363هـ.

الدواوين

- تميم بن أبي بن مقبل: الديوان تح. عزت حسن، مديرية احياء التراث القديم، دمشق، 1962.
- امرئ القيس: **الديوان**، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط. 5، 1990.
- الأعشى (ميمون بن قيس):**الديوان**، دار صادر، ط.3، 2012.
- تماضر السلّمية (الخنساء): **الديوان**، شرح: حمْدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط.1، 2004.
- حاتم الطائي: الديوان: شرح وتقديم: أحمد رشاد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.2، 2002
- حسان بن ثابت: **الديوان**، شرح: عبدا مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 1994.
- عمرو بن كلثوم: **الديوان**، تح. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.1، 1996.
- ابن شداد (عنترة بن شداد)، الديوان، شرح: أمين سعيد، المكتبة التجارية الكبرى للنشر، مصر، 1995.
- العبسي (عنترة بن شداد العبسي): **الديوان**، تح. محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، القاهرة، 1964.
- ابن زهير (كعب بن زهير): **الديوان**، رواية الإمام أبو سعيد السكري، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط01، 1950م.
- ابن الملوح (قيس ابن الملوح – مجنون ليلى)، **الديوان**، تح: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر للنشر، مصر، 1979.

- ابن أوس (معن بن أوس): **الديوان**، صنعة حاتم صالح الضامن، نوري حمودي القيسي، المكتبة الوطنية للنشر، بغداد، عدد: 11، 1977.

المراجع العربية:

- الحوفي (أحمد محمد الحوفي): **الحياة العربية في الشعر الجاهلي**، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ط.2، 1952.
- الحوفي (أحمد محمد الحوفي): **المرأة في الشعر الجاهلي**، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، (د.ت).
- درويش (عبد العزيز موسى درويش): **رمزية المرأة وتجلياتها في شعر الشنفرى**.
- السطلي (عبد الحفيظ السطلي):**العجاج حياته ورجزه**، مكتبة أطلس، دمشق،
- طه (جمانة طه): **المرأة العربية في منظور الدين والواقع**، دار اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005.
- عبد الباقي (محمد فؤاد بن عبد الباقي): **اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان**، دار إحياء الكتب العربية للنشر، القاهرة، 1976.
- العفيفي (عبد الله العفيفي): **المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها**، المكتبة الشاملة للنشر، مصر،1932.
- أبو علي (نبيل خالد أبو علي): **شاعرات عصر الإسلام الأول**، دار الحرم للتراث، القاهرة، ط. 2، 1998.
- علي (جواد علي): **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، جامعة بغداد، ط. 2، 1994.
- عيسى (أحمد عيسى): **الغناء للأطفال عند العرب**، مؤسسة هنداوي للنشر، 1936.
- الفيفي (عبد الله الفَيفي): **قلق الخضرمة بين الجاهلي والإسلامي (دراسة تحليلية نقدية)**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض – المملكة السعودية، ط.1، 1999.

- القيسي (نوري حمودي القيسي): دراسات في الشعر الجاهلي، دار الفكر، دمشق، بغداد، 1972.
- مرتاض (عبد الملك مرتاض): **السبع المعلقات (مقاربة سيميائية / أنثروبولوجية لنصوصها)**، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998.
- الهاشمي (علي الهاشمي)، **المرأة في الشعر الجاهلي**،وزارة المعارف، بغداد، 1920.
- النقدي (جعفر النقدي): **الإسلام والمرأة**، مكتبة النجاح للنشر، ط02، 1274هـ.
- فيصل (شكري فيصل)، **تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام**، دمشق، 1959.

الرسائل الجامعية:

- جولق (علي اللافي جولق): **مكانة المرأة في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام**، كلية التربية العجيلات، جامعة الزاوية، ليبيا. 2018. ينظر الرابط: https://zu.edu.ly/uploadfiles/file1557932611151.
- دويكات (زهور دويكات): **صورة المرأة في النثر الجاهلي** (رسالة ماجستير)، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2013.
- عامر (مسعود عامر): **تميم بن أُبيّ بن مقبل (حياته وشعره)**، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 1987.

المجلات والدوريات:

- بوعقال (راضية بوعقال)،**تعدد النظرة للمرأة عند الشعراء قبل الأعشى وفي زمانه**، مجلة آفاق للعلوم، جامعة أم البواقي، ع 09. سبتمبر: .2017
- العمري (ليلى توفيق العمري): **المياه في شعر تميم بن أبيّ بن مقبل (قراءة تأويلية)**، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 32، العدد: 01، 2005
- المساوي (عبد السلام المساوي): **صورة المرأة في الشعر العربي**، البيت العربي، العدد: 419.

المواقع الالكترونية:

- الكيلاني (فالح الكيلاني)، **مواطن جمال المرأة في الشعر الجاهلي**،الاثنين 2022/05/30ـ صحافة نت، موقع حيروت الإخباري،الاطلاع في: 2024/03/20، 03:45، ينظر الرابط: https.// hayrout.com.

المحتوى

محتوى الرسالة

المحتوى	الصفحة
إهداء	
كلمة شكر	
مقدمة	أ-د
الفصل الأول واقع المرأة في الجاهلية وصدر الإسلام	
توطئة	6
المبحث الأول: واقع المرأة في الجاهلية	7
المرأة والواقع الاقتصادي	7
المرأة والواقع السياسي	8
المرأة والواقع الاجتماعي	10
المرأة والواقع النُظُمي (التشريعي)	14
المرأة في الواقع الفكري (الإعتقادي)	17
المبحث الثاني: واقع المرأة في الإسلام	19
تمهيد	19
حقوقها	20
-الحق في الحياة	20
-الحق في المكانة	22
-الحق في الميراث	24
-الحق في المهر	25

الفصل الثاني: واقع المرأة في شعر تميم بن أبيّ بن مقبل	
المبحث الأول: واقع المرأة في الشعر الجاهلي والإسلامي	27
المرأة في الواقع الشعري الجاهلي	27
المرأة والشعر	28
الشعر والمرأة	32
غرض الغزل وموضوعة المرأة	33
المرأة في الواقع الشعري الإسلامي	38
صورة المرأة في العهد الإسلامي	38
المبحث الثاني: واقع المرأة في شعر ابن مقبل	42
ابن مقبل (حياته وشعره)	42
اسمه ونسبه وكنيته	42
زوجاته	43
أولاده	45
شعره	45
أغراضه الشعرية	46
موضوعة المرأة في شعر ابن مقبل	48
ما ذكر من النساء في شعره	49
البنات	49
الزوجات	50
عرائس الشعر	54

النساء الحقيقيات	54
النساء المختلقات	56
غرض الغزل عند ابن مقبل	57
غزل صناعي	57
بنية غزله الصناعي	58
غزل عاطفي	60
بنية غزله العاطفي	61
توظيف المرأة في شعره	65
المرأة والمطالع الشعرية	65
صورة المرأة في الغزل	66
المرأة والصورة الشعرية	69
مشهد المرأة الظاعنة	70
خاتمة	77
قائمة المصادر والمراجع	
المحتوى	
المستخلص	

المستخلص

عنوان المذكرة: صورة المرأة في شعر تميم بن أبيّ بن مقبل

من اعداد الطالبة: عرابي حنان الأستاذ المشرف: الدكتور مرزوق أبو بكر

الشعبة: دراسات أدبية التخصص: أدب قديم

السنة الجامعية: 2023 – 2024

المستخلص العربي:

يتناول البحث واقع المرأة في الشعر الجاهلي والإسلامي مع شاعر مخضرم هو تميم بن أبيّ بن مقبل، واستعراض شعره الغزلي من خلال شعره في زوجته (الدهماء)، التي فارقها بسبب موقف الإسلام من زواج المقت، في محاولة لتقييم تجربته الوجدانية مع هذا الواقع الجديد

الكلمات المفتاحية: المرأة– الشعر الجاهلي – الشعر الإسلامي –مخضرم – ابن مقبل – الغزل

المستخلص الأجنبي:

The research deals with the reality of women in pre-Islamic and Islamic poetry with a veteran poet, Tamim bin Abi bin Muqbil, and reviews his flirtatious poetry through his poetry about his wife (Al-Dahmaa), whom he left because of Islam's position on abhorrent marriage, in an attempt to evaluate his emotional experience with this new reality.

Keywords: women - pre-Islamic poetry - Islamic poetry - Mukhtaram - Ibn Muqbil - ghazal

تمت بحمد الله وعونه